شرح حزب البحر

المسمى

مفاتيح العز والنصر فى التنبيه على ما يتعلق بحزب البحر

لقطب الأقطاب سيدى أبى الحسن الشاذلى

قدس الله سره

تصنيف

العلامة الشيخ سيدى احمد زروق

رضى الله تعالى عنه

تحقيق وتعليق

احمد فريد المزيدى الشيخ

الناشر

دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى

القاهرة - الدراسة - ت : ٢٥٨٩٨٠٢٩

شرح حزب البَحر

المسمى

مفاتيح العزّ والنصر في التنبيه على ما يتعلق بحزب البحر

لقطب الأقطاب سيدي أبي الحسن الشاذلي

قدَّسَ الله سرَّه

تصنيف

العلامة الشيخ سيدي أحمد زروق

رضي الله تعالى عنه

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي الشيخ

الناشر

دار جوامع الكلم ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

١٧ ش الشيخ صالح الجعفري الدراسة القاهرة- تليفون ٢٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي خصَّ أولياءه بالولاية والاصطفاء، وأنعم عليهم بالمحبَّة والصفاء؛ فهم عن بابه لا يبرحون، وأودع قلوبهم الحكم والأسرار، وصانهم عن الأغيار والأكدار؛ فهم في جميع أعمالهم مخلصون، ووكَّلهم في جميع أحوالهم، وقدسهم في جميع أفعالهم، فهم بمشاقِّ الأعمال متلذذون، جدُّوا في طلب رضاه، وزهدوا عن كلِّ ما سواه، وفيما لديه يرغبون، فألبسهم حُلل القرب والاتصال، وخلع عليهم ملابس الكرامة والإقبال؛ فهم عرائس، ولا يرى العرائس المحرومون، فسبحان مَنْ خصَّ مَنْ شاء بما شاء، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أدخرها ليومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- الذي أعجز الفصحاء والبلغاء وتركهم في ريبهم يتردَّدون وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين؛ فهم به إلى ربهم يتوسلون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما صاح طائرٌ على أعلى الغصون.

وبعد .. فهذا كتاب يشرح «حزب البحر» للقطب الغوث الفرد الجامع سيدنا العارف المحقق: أبي الحسن الشاذلي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وهو دعاء مشهور سمي به؛ لأنه وضع في البحر، وللسلامة فيه حين سافر الشيخ الشاذلي - رضي الله تعالى عنه - في بحر القلزم، فتوقف عليهم الريح أيامًا، فرأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- في مبشرة، فلقَّنه إياه فقرأه، فجاء الريح، ويسمى أيضًا : بـ «الحزب الصغير».

قال العلماء بالله تعالى: إن فيه اسم الله الأعظم، وجاء عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي أنه قال: لو ذكر حزبي في بغداد لما أُخذت، وهو العدة الكافية التي فيها تفريج الكروب، وما قرئ في مكان إلا سلم من الآفات، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية، ولأهل النهايات أنوار صافية، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، وفرَّج كربته، ورفع بين الناس قدره، وشرح

بالتوحيد صدره، وسهَّل أمره، وكفاه شر الإنس والجن، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، وإذا قرأه عند جبار أمِنَ من شرِّه، ومن قرأه عقيب كل صلاة أغناه الله سبحانه وتعالى عن خلقه، وآمنه من حوادث دهره، ويسَّر له أسباب السعادة في جميع حركاته وسكناته، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في القلوب.

وإن هذا الشرح الذي بين أيدينا من نفائس الشيخ زروق – رضي الله تعالى عنه – وإننا لما رأينا فوائده وأهميته العلمية سارعنا لتحقيقه، وضبطه وتوثيقه، وتخريج أحاديثه، والتعليق على بعضه، والترجمة لبعض أعلامه، والتقديم له، وذلك حتى يسهل على القارئ الاستفادة من فوائده.

وشرحه أيضًا: الشيخ الشعيبي الهروي ١٠١٣ هـ والشيخ حسن المدابغي ١١٧٠ هـ، والشيخ إبراهيم السفرجلاني ١١٥٠ هـ، والملا علي القاري ١٠١٤ هـ، والشيخ محمد بن تاج الدين الوسيمي ١٠٠٦ هـ، والشيخ الدكدكي الحنفي ١١٣١هـ والشيخ محمد الأزميري ١١٦٥ هـ، والشيخ اللاله زاري المتوفى ١٢٠٤هـ، والشيخ كمال الدين الحلبي ١٢٩٩ هـ، والسلطان مصطفى خان العثماني ١٣٠٥ هـ وسيدي محمد بن خليل القاوقجي ١٣٠٥ هـ وسيدي العارف داود بن باخلا ٩٣٢ هـ، والشيخ أبو الهدى الصيادي ١٣٢٨ هـ، والشيخ النجم الغيطي ٩٨٢هـ والشيخ سليمان الجمل ١٢٠٤ هـ، وغيرهم، ولكلٍّ ذوقه ومشربه.

والله أسأل التوفيق والإخلاص، وأن ينفع المسلمين بهذا الحزب وشرحه، ويعم علينا من بركات الصالحين، ويحشرنا معهم، وفي زمرتهم بفضله ومنه .. آمين.

كتبه: أبو الحسن والحسين/ أحمد فريد المزيدي

٠١٠١٤٦٣٠٢٧ دار الحقيقة المحمدية لإحياء تراث السادة الصوفية

ترجمة سيدي أبي الحسن الشاذلي

هو الإمام القطب علي أبو الحسن بن عبد الله السيد الشريف، من ذريته محمد بن الحسن الشاذلي.

زعيم الطائفة الشاذلية، نسبة إلى شاذلة، قرية بإفريقية، نشأ ببلده، فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها مع كونه ضريرًا.

ثم سلك منهاج التصوف، وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره، وطار في فضاء الفضائل طيره، وحمد في طريق القوم سُراه وسيره.

نظم فرقق ولطف، وتكلم على الناس فقرظ الأسماع وشنف، وطاف وجال ولقي الرجال.

أخذ عن سيدي ابن مشيش، وأبي سعيد الباجي.

قدم إلى الإسكندرية من المغرب، وصار يلازم بثغرها من الفجر إلى المغرب، وينتفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المطرب.

وكان إذا ركب تمشي أكابر الفقراء والدنيا حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكوسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادي: من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي.. ونودي في سره: يا علي، أنت الشاذلي.

وقال الحنفي: اطلعت على مقام الجيلاني والشاذلي، فإذا مقام الشاذلي أرفع.

ثم تحول إلى الديار المصرية، وأظهر فيها طريقته المرضية، ونشر سيرته السرية.

وكان يقرأ الشفا للقاضي عياض، وتفسير ابن عطية.

قيل له: من شيخك؟ قال: أما فيمن مضى فعبد السلام بن مشيش، وأما الآن، فإني أُسقى من عشرة أبحر: خمسة سماوية، وخمسة أرضية.

وحج مرارًا، ومات قاصدًا الحج في طريقه.

وورث القطبانية عن أبي الحجاج الأقصري.

قال ابن دقيق العيد: ما رأيت أعرف بالله منه، ومع ذلك آذوه، وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه يقدم عليكم مغربي زنديق، وقد

أخرجناه من بلادنا، فاحذروه.. فدخل الإسكندرية، فآذوه، فظهرت له كرامات أوجبت اعتقاده.

وقال الشيخ المحقِّق سيدي داود بن باخلا -قدس الله سره- في «شرح حزب البحر» المقول الأول في شيءٍ من ذكر بعض أوصاف صاحب هذا الدعاء وجلالة مقداره وفخامة منـزلته وظهور أنواره:

فهو السيِّد الأجل الكبير، القطب الربَّاني، العارف الوارث، المحقِّق بالعلم الصمداني، صاحب الإشارات العلية، والحقائق القدسيَّة، والأنوار المُحمدية، والأسرار الربَّانية، والمنازلات العرشيَّة، الحامل في زمانه لواء العارفين، والمقيم في دولة علوم المحقِّقين كهف قلوب السالكين، وقبلة همم المريدين، وزمزم أسرار الواصلين، وجلاء قلوب الغافلين، مُنشئ معالم الطريقة بعد خفاء أسرارها، ومُبدي علوم الحقيقة بعد خبو أنوارها، ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها واستتارها، الدالُّ على الله تعالى وعلى سبيل جنَّته، والداعي على علمٍ وبصيرةٍ إلى جنابه وحضرته، أوحد أهل زمانه علمًا وحالاً، ومعرفةً ومقالاً، الشريف الحسيب النسيب، ذو النسبين الطاهرين، والسُّلالتين الطيبتين، الغيبية والشاهدية، والوارثتين الكريمتين الملكيَّة والملكوتيَّة، المُحمدي العلوي الحَسني الفَاطمي، الصحيح النسبين، والكريم العنصرين، فَحل الفُحول، إمام السَّالكين، ومعراج الوارثين، علي الشَّاذلي، الذي تُغنيك سمته عن مدحٍ أو قولٍ مُنتحل، الأستاذ المُربِّي الكامل أبو الحسن.

جاء في طريق الله تعالى بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب، والمسلك العزيز القريب، وجمع في ذلك بين العِلم والحال والهمَّة والمقال، اشتملت طريقته على الجذب والمجاهدة والعناية، واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية، شُيِّدت بالعِلمين الظاهر والباطن من سائر أطرافها، وقُرنت بصفة الكمال شريعة وحقيقة من جميع أكنافها، تيامنت عن سُكرٍ يُؤدِّي إلى تعدِّي الآداب الشرعيات، وتياسرت عن صحوٍ يفضي إلى الحجاب عن أولي الألباب، ودلت على حقائق التوحيد وأسرار المجاهدات، وتسامت عن انقباض يوقع في الانكماش وسوء الظن، وتحجبت عن روح

الرجاء ولذاذة الشوق والطلب، وتناءت عن انبساط يُنـزل بصاحبه عن مقام الاحتشام والحياء، ويؤول به إلى سوء الأدب، فاستوت بتوفيق الله تعالى في نقطة الاعتدال، وظفرت بهداية الله دون كثير من الطرق بصدق التوسُّل والكمال.

ومن كلامه: كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتميل النفس وتلتذ به فارم به، وخذ بالكتاب والسنة.

وقال: لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يحدث في غدٍ وبعده إلى يوم القيامة.

وقال: حسبك من العلم العلم بالوحدانية، ومن العمل تأدية الفرض مع محبة الله ورسوله، واعتقاد الحق للجماعة، فإن المرء مع من أحب، ولو قصر في العمل.

وقال: من علامة النفاق: ثقل الذكر على اللسان، فتب إلى الله يخف الذكر على لسانك.

وقال: سكنت ببعض الجبال، فأُلقى في سري: من سكن خوف قلبه، قَل ما يرفع له عمل، فضقت ذرعًا، وأقمت على ذلك عامًا، فرأيت المصطفى وهو يقول: مبارك، أهلكت نفسك، فرق بين سكن وخطر، فالمؤمن يخطر به ولا يسكن. فسكن ما بي.

وقال: قيل لي ما الذي استفدت من طاعتي ومن معصيتي؟ فقلت: استفدت من طاعتك العلم الزائد والنور النافذ، ومن معصيتك الغم والحزن والخوف والرجاء.

وقال: وصلت مع أصحابي مرّة المدينة، فنـزلوا وقالوا: نستحي أن ندخلها على حمير... فأردت موافقتهم، فنوديت: إن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع، ولكن يعذب على تعب يصحبه التكبر.

وقال: ليست الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، إنما هي بالصبر واليقين والهداية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال: رأيت كأني أطوف بالكعبة، وأطالب نفسي بالإخلاص، فنوديت كما تدندن والآخرين، خلا علم الرسول والنبيين -صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال: رأيت النبي ونوحًا، وملكًا بين أيديهما يقول: لو علم نوح – عليه السلام–

من قومه ما علم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- من قومه، ما دعا عليهم برب لا تذر، ولو علم محمد ما علم نوح من قومه ما أمهلهم طرفة عين، لكن علم أن في أصلابهم من يؤمن ويسعد بلقاء ربه.. فقال: «اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون[١]».

وقال: قرأت ليلة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩] فرأيتَ النبي يقول: أنا ممن يعلم، ولا أغني من الله شيئًا.

وهممت بالدعاء على ظالم، فرأيت أستاذي يقول: لم يشأ الله إهلاكه، فلا تعجل؛ فإنه من الشهوة الخفية، ومن أظلم ممن ينازع مولاه، ويتبع شهوة نفسه وهواه.

وقال: رأيت النبي فقال: طهّر ثيابك من الدنس تحظ بمدد من الله في كل نفس. فقلت: ما ثيابي؟ قال: كساك الله حُلة المعرفة والمحبة والتوحيد والإيمان والإسلام. فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحبه هان عليه كل شيء، ومن آمن به آمن من كل شيء، ومن أسلم له قلما ينغصه أي شيء، وإن عصاه واعتذر إليه، قبل عذره.

وقال: قلت إلهي متى أكون عبدًا شاكرًا؟ فنوديت: إذا لم ترَ في الوجود مُنعمًا عليك غيره. قلت: فالنبي والملك والعالم؟ قال: نعمة مني عليك، فالنبي يبلغك الشرائع، والعالم يسنها لك، والملك به صلحت الدنيا، واستقامته لك عبادتك.

وقال: من أحبَّ ألاّ يعصي الله في مملكته، فقد أحب ألاّ تظهر مغفرته ورحمته.

وقال: لا يشم رائحة الولاية من لا يزهد في الدنيا وأهلها.

وقال: إذا افتقرت فسلم، وإذا ظُلمت فاصبر، واسكن تحت جَريان الأقدار؛ فإنها سحابة سائرة.

وقال: من أدب مجالسة الأكابر عدم التجسس على عقائدهم، ومن أدب مجالسة العلماء عدم تحدثهم بغير المنقول.

وقال: خطر ببالي أني لست بشيء، فرأيت كأني غمست في بيت من مسك، فغرقت فيه حتى لم أجد له رائحة، فقيل لي: علامة المريد فقد المزيد لعظم المزيد.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢٨٢)، ومسلم (٣/ ١٤١٧).

وقال: رأيت الصديق عند قراءة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦].

فقال: صِلْ من يبقى، واهجر من يفنى، تجلَّ وتكرم- أي عن الفناء والبقاء.

وقال: رأيت أني مع النبيين فقلت: اللهم اسلك بي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم، فإنهم أقوى. فقيل لي: قل: وما قدّرت علينا من شيء فأيّدنا فيه كما أيّدتهم.

وقال: هممت أن اختار القلة على الكثرة، فأمسكت خوف سوء الأدب، فرأيت سليمان - عليه السلام- على سريره، وعسكره وقدوره وجفانه - كما وصف الله- فنوديت:

لا تختر مع الله شيئًا، وإن كان ولا بد، فاختر ألاّ تختار، وفرّ من ذلك المختار، فإن اخترت فاختر العبودية اقتداء بالمصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم- قل: اللهم وسع علي رزقي في دنياي، ولا تحجبني بها عن أخراي، واجعل مقامي عندك دائمًا بين يديك، وناظرًا بك إليك، وأرني وجهك، ووارني عن الرؤية وعن كل شيء دونك، وارفع البين بيني وبينك، يا من هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

وقال: رأيت أني بين يدي العرش فقلت: يا رب قال: لبيك، قلت: يا رب.. فاهتز العرش قلت: يا رب.. فاهتز اللوح والقلم، فقلت: أسألك العصمة، وأعوذ بك من دواعي النفس والهوى والشهوة والشيطان والدنيا؛ فإنهن يُسقطن من أعلى عليين إلى أسفل سافلين في أسرع من لمح البصر، وأنت أعلم بذلك، ولا حول ولا قوة إلا بك. فقيل لي: لك ذلك.

وقال: رأيت النبي يقول: «أربع لا ينفع معهن الفقه: حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الفقر، وخوف الناس».

وقال: أخس الناس منزلة من بَخِل بالدنيا على من لا يستحقها، فكيف بمن يستحقها؟

وقال: رأيت أنني بالمحل الأعلى، قلت:

إلهي، أي الأحوال أحب إليك؟ وأي الأقوال أصدق لديك؟ وأي الأعمال أدل على محبتك؟

فقيل لي: الرضا بالمشاهدة، ولا إله إلا الله، وبغض الدنيا، واليأس من أهلها.

وقال: قال رجل لي: بم فقت الناس، ولم أر لك كبير عمل؟ قلت: بواحدة افترضها الله على رسوله: الإعراض عنكم وعن دنياكم.

وقال: أتتني دنيا ففرحت بها لأستعين وأعين، وأقمت أجمع بين الشكر بالقلب، والحمد باللسان، فرأيت أستاذي يقول: استعذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت وإذا أدبرت وإذا أنفقت.

وقال: رأيت الصديق فقال: علامة خروج الدنيا من القلب بذلها عند الوجود، ووجدان الراحة منها عند الفقد.

وقال: قيل لي: من كففت جوارحه عن معصيتي، زينته بحفظ أمانتي، وفتحت قلبه بمشاهدتي، وأطلقت لسان سره لمناجاتي، ورفعت الحجاب بينه وبين صفاتي، وأشهدته معاني أرواح كلماتي، وزحزحته عن النار، وأدخلته جنتي، وفاز بقربي، وصحبته ملائكتي، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وصحبه أحد الفقراء، فلما كثر ما يسمعه منه من الخوارق اعتزله، فنودي: مكين البناء، الاسم في سره دعانا فلان بست دعوات، فإن أراد أن يستجاب له فليوالي الشاذلي.

ودخل عليه المرسي، فقال: رأيت الكيلاني، فقال: عرش أنت أم كرسي؟ قلت: دع عنك، هذه الطينة أرضية، والنفس سمائية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله بلا أين، وينـزل فيما بين، ويتلوه شاهد منه.

وقال المرسي: قال لي عبد القادر النقاد: أُطلعت على مقام الشاذلي، فإذا هو عند العرش.

وقال: نحن لا نقيد على مريدنا ألاّ يجتمع بغيرنا، بل نقول: إن وجدت منهلاً أعذب منا فعليك به.

وقال: ورد المحبين المحققين: إسقاط الهوى، ومحبة المولى؛ فإن المحبة أبت أن تستعمل محبًّا لغير محبوبه.

وقال: لكل وقت سهم من العبودية، فإياك أن تؤخر طاعة وقت لوقت، فتعاقب بفوتها أو بفوت غيرها أو مثلها، ولهذا قالوا: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك.

وقال: من أراد عز الدارين، فليُرح من الدنيا وأهلها بدنه وقلبه.

وقال: ليس هذا الطريق بالرهبانية وأكل الشعير، بل بالصبر والحضور مع الله.

وقال: من لم يزدد بعلمه وعمله تواضعًا للخلق، فهو هالك.

وقال: سبحان من قطع عنه كثيرًا من أهل الصلاح برؤيتهم صلاحهم.

وقال: لا يعطى الكرامة من طلبها، ولا من حدث بها نفسه.

وقال: رأيت كأني واقف بين يدي الله وهو يقول: لا تأمن من مكري في شيء وإن أمنتك، فإن علمي لا يحيط به محيط.

وقال: لا تركن إلى علم، ولا عمل، ولا مدد، وكن مع الله بالله لله.

وقال: من أقبل على الخلق قبل خمود نار بشريته، وقع من عين رعاية الله، فاحذروا هذا الداء العضال الذي هلك به كثير، فقنعوا بتقبيل العامة أيديهم.

وقال: إذا طلب الولي النصرة ممن ظلمه خرج عن الولاية، قال تعالى للمعصوم الأكبر: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقال: من أبغض الخلق إلى الله تعالى من تملق إليه بالطاعات في الأسحار، يطلب بذلك القرب من العباد.

وقال: إذا أراد الله هوان عبد ستر عنه عيوبه، وإذا أراد عزه بصّره بها ليتوب منها.

وقال: إذا ترك العارف الذكر نَفَسًا أو نَفَسين، عوقب بالبين.

وقال: إذا ضيّق عليك المعيشة، فهو يريد أن يواليك، فاصبر ولا تضجر. وقال: لا تختر مع ربك شيئًا، واختر ألاّ تختار، وفر من المختار، ومن فرارك، ومن كل شيء إلى ربك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

وقال: كل ورع لا يثمر النور والمعرفة فلا ثمر له، وكل خطيئة أعقبها خوف وهرب إلى الله فلا وزر لها.

وقال: لا ترقى قبل أن يُرقى بك، فتزل قدمك.

وقال: أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يجد في نفسه بعض ما يريد.

وقال المرسي: جُلت في الملكوت، فرأيت أبا مدين متعلقًا بساق العرش، قلت: ما

علومك؟ قال: واحدٌ وسبعون. قلت: ما مقامك؟ قال: شرائع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال. قلت: فما تقول في الشاذلي؟ قال: زاد علي بأربعين علمًا، هو البحر الذي لا يحاط به.

وقال: رأيت الخضر فقال: يا أبا الحسن، أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبًا في المقام والرحيل.

ولما قدم سيدنا الشاذلي - رضي الله تعالى عنه - الإسكندرية، وكان بها أبو الفتح الواسطي، فوقف بظاهرها واستأذنه فقال: طاقية لا تسع رأسين، فمات أبو الفتح في تلك الليل؛ وذلك لأن من دخل بلدًا على فقير بغير إذنه- فمهما كان أحدهما أعلى- سلبه أو قتله، ولذلك ندبوا الاستئذان.

وقال: طالب نفسك بإكرامك للناس، ولا تطالبهم بإكرامهم لك، ولا تكلّف إلا نفسك.

وقال: أبلى الله هذه الطائفة بالخلق، سيما أهل الجدال، قَلّ ما ينشرح صدر أحدهم للتصديق بولي معين من معاصريه يقول نعم، إن لله أولياء، لكن أين هم؟

وقال: لكل ولي ستر أو ستور، فمنهم من ستره بالأسباب، ومنهم من ستره بظهور العزة والسطوة والقهر، على حسب ما يتجلى الحق تعالى لقلبه، فيقول للناس: ما هذا بولي، وهو في هذه النفس؛ وذلك لأن الحق إذا تجلّى في قلب عبد بصفة القهر كان قهارًا، أو بصفة الانتقام كان منتقمًا، أو بصفة الرحمة والشفقة كان رحيمًا شفيقًا، وهكذا.

وقال: إن أردت ألاّ يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم ولا كرب، ولا يبقى عليك ذنب، فأكثر من قول الباقيات الصالحات.

وقال: إذا كثرت الخواطر والوسوسة، فتوجه بقلبك لشيخك، فإن لم يزل، فإلى ربك وقل: سبحان الملك الخلاق ﴿وَإِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر:١٦].

وقال: إذا ثقل الذكر على اللسان أو اللغو فذلك لكثرة الوزر أو لكمون النفاق، فتب واعتصم به ليصلح حالك.

وقال: إذا انتصر المريد لنفسه وأجاب عنها، علمنا أنه تعالى لم يؤهله، لكونه من حضرته.

وقال: علامة صدق المريد، عدم طلب العوض من الله على عبادته، فإن عبد الأجرة لا قيمة له، ولا يمكنه الدخول على الحرم، وبمجرد أخذ الأجرة يفارقه سيده.

وقال: إذا غفل مريد عن الذكر نفسًا واحدًا، صار الشيطان قرينه، فإنه بالمرصاد لمن أقبل على الله، فيقف تجاه قلبه، فإن دخلته الغفلة، دخل، وإن دخله الذكر خرج، وإذا كان الشيطان يدنس القلب بدخوله مرة فكيف بقلب باض فيه وفرخ؟

وقال: المرأة الحسناء تُصيبك في قلبك، والشوهاء في ظاهرك، وما يُصيبك في ظاهرك أهون مما يصيبك في قلبك الذي هو محل نظر الربِّ.

وقال: لو أظهر العارف كراماته، خيف أن يُعبد من دون الله.

وقال: كثيرًا ما تتحول الدنيا من يد مريد أول دخوله الطرق فيقول في نفسه: ما كان لي حاجة بالطريق.. فينقض عهده، فلا يُفلح أبدًا.

وقال: كل مريد ادعى فتح عين بصيرته، وعنده بقية طمع فيما بأيدي الناس، فهو كاذب.

وقال: كل مريد أحب الدنيا، كرهه الله بقدر حبه لها كثرةً وقلة.

وقال: حيث أطلق نعيم الدنيا، فالمراد به المال والطعام، والكلام والمنام، فالمال يطغي، والطعام يقسّي، والكلام يلهي، والمنام ينسي.

وقال: مِن أضر شيء على المريد، إكثار العمل الصالح ليحمد عليه، فلا يزداد بكثرته إلا طردًا ومقتًا.

وقال: لا كبيرة عندنا أكبر من حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، والمقام على الجهل بأحكام الدين.

وقال: إن أردت أن يكون الحق تعالى راضيًا عنك، فتبرأ من نفسك، ومن حولك ومن قوتك إليه.

وقال: إذا أردت الصدق في القول فأكثر من قراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ﴾ [القدر:١]، والإخلاص فمن قراءة سورة الإخلاص، أو تيسير بالرزق فمن قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

الفَلَقِ﴾ [الفلق]، أو السلامة من الشر فمن قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس].

وقال: أربع لا ينفع معهن علم ولا عمل: حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الناس، وخوف الفقر.

وقال: أدل الأعمال على حب الله لك، بغضك للدنيا وأهلها، مع موافقة الأوامر.

وقال: لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، وتحن أعضاؤك إليها، فترجع لمعانقتها بعد الخروج عنها، إما بالهمة، أو الفكر، أو الإرادة.

وقال: خصلة واحدة تحبط الأعمال، ولا يتنبه لها غالب الناس، سخط قضاء الله؛ وذلك بأنهم ﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩].

وقال: خصلتان لا يضر معهما كثرة الذنوب: الرضا بالقضاء، والعفو عن العباد.

وقال: علامة هجر المعاصي، عدم خطورها بالبال، فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور.

وقال: من أساء الأدب في الطاعة، عوقب بالحجاب، ومن ركن إلى أحواله عن المزيد أو أفرط في القلق والاستعجال، عوقب بخراب السر.

وقال: من اعترض على أحوال الرجال، لا بدَّ أن يموت قبل أجله ثلاث موتات: موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس، مع عدم الرحمة له.

وقال: إنّا لا نرى مع الحق من الخلق أحدًا، وإن كان ولابد فكالهباء في الهواء، إن فتشته لم تجده.

وقال: من النفاق التظاهر بالشيء، والله يعلم من سريرتك غيره، ومن الشرك الخفي، اتخاذ الشفعاء دونه تعالى، ولن تخلص من ذلك إلا بجعل الوسائط طريقًا إلى الله، من غير وقوف معها.

وقال: من سوء الظن بالله انتصار العبد في دواهيه بغيره.

وقال: من غفل عن تعهد قلبه، اتخذ تدينه هزوًا ولعبًا.

وقال: عز المريد على قدر ترك هواه، فتارك نصف أهويته، له نصف العز، وكذا الثلث والربع وغيرها، فمن طلب العز الكامل، ترك الكل.

وانتقل الشيخ – رضي الله تعالى عنه – في شهر رمضان، بصحراء عيذاب قاصدًا

الحج، فدفن هناك، وقيل بجميزة من الصعيد، وكان ماؤها أجاجا، فعَذب، سنة ست وخمسين وستمائة.

وانظر ترجمته في: تعطير الأنفاس في مناقب أبي الحسن والمرسي أبي العباس لأبي الصلاح الوفائي، والمفاخر العلية، كلاهما بتحقيقنا.

وطبقات الأولياء لابن الملقن (٤٥٨)، ومرآة الجنان لليافعي (٤/ ١٤٠)، والطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٤)، طبقات الشاذلية (١٥)، الشذرات (٥/ ٢٧٨)، الكواكب الدرية للمناوي (٥٣٨) بتحقيقنا.

ترجمة الشيخ المصنف

هو العارف بالله تعالى العلامة المشهور شرقًا وغربًا ذو التآليف الكثيرة المفيدة والكرامات العديدة: أحمد -وقيل: إسماعيل- ابن أحمد بن عيسى.

بل حكى عن نفسه أن الذي وضعه عليه والده أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب البرنسي الفاسي، وقال: جمع البُرُنُسي، قبيلة من البربر بين فاس وتازا - المالكي المعروف بزروق؛ لأن جده كان بعينه زرقة فقالوا: زروق، فسرت في عقبه. عابد من بحر الغيب يغترف، وعالم بالولاية متصف، تحلّى بعقود القناعة والعفاف، وبرع في معرفة الفقه والتصوف والأصول والخلاف، خطبته الدنيا فخاطب سواها، وعرضت عليه المناصب فردها وأباها.

ولد بفاس سنة ست وأربعين وثمانمائة، مات أبواه قبل تمام أسبوعه فنشأ يتيمًا، وحفظ القرآن وعدة كتب.

أخذ التصوف عن القوري وغيره كأحمد السلوى، والعيدروسي، وابن عجل، وأبي العباس المكناسي، وأبي الحسن الأبناسي، وابن إملال، وابن منديل، وابن زمام، وأحمد الغيلاني، ويحيى صاحب المطهر، والرفروف، وزيتون، وأحمد الغماري.

وطاف وساح وركب الأهوال، ولزم العبادة وهو في عداد الأطفال.

تعلم صنعة الخرازة، خياطة الجلود، وكانت تحدثه بحكايات الصالحين ومعجزات الأنبياء وسيرة النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - وكانت تأمره بالصلاة.

ارتحل إلى مصر، وحج وجاور بالمدينة، ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها نحو سنة، وأخذ يتعلم العربية والأصول على الجوهري وغيره.

أخذ الحديث عن السخاوي، والفقه عن النور السنهوري، والنور المسيني، ثم غلب عليه التصوف.

ومن الكتب التي قرأها في الحديث والفقه والتصوف:

- صحيح البخاري.

- كتب سلطان الأولياء ابن أبي جمرة.
- إحياء علوم الدين.
- المدخل لابن الحاج.
- الرسالة للقشيري.
- الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي.

كتب سيدي ابن عطاء الله السكندري وهي:

- الحكم العطائية.
- لطائف المنن.
- تاج العروس في تهذيب النفوس.
- مفتاح الفلاح.
- التنوير في إسقاط التدبير.
- مؤلفات الحارث المحاسبي.
- عوارف المعارف للسهروردي.
- قوت القلوب لأبي طالب المكي.

من مصنفاته:

- كتب على الحِكم نيفًا وثلاثين شرحًا.
- حاشية على القرطبية في فقه المالكية.
- شروح عدة على رسالة ابن أبي زيد القيرواني[١] كلها مفيدة نافعة.
- عمل فصول السلمي أرجوزة.
- شرح كتاب صدور الترتيب لشيخه الحضرمي بن عقبة.

---

(١) طبع بتحقيقنا (دار الكتب العلمية).

- شرح حزب البحر للشاذلي (كتابنا هذا).
- شرح الأسماء الحسنى جمع فيه بين طريقه علماء الظاهر والباطن.
- قواعد الصوفية، وأجاده جدًّا.
- النصيحة الكافية.
- عدة المريد الصادق.
- كتاب البدع والحوادث.
- الجامع لجمل من الفوائد والمنافع.
- شرح قواعد عياض.
- شرح الوغليسية.
- شرح الإرشاد لابن عسكر. وغير ذلك كثير.

وكان وعمره خمس سنين يستدل على التوحيد، نظر ليلة في نجم فأدرك في أمر الله فيه.

ورئي زمن رضاعته نورٌ بموضعه، ورأت أمه حين الحمل به أنها أعطيت لوحًا من ذهب ورأت جدته أن البحر أخذه، فكان دليلاً على تأهله لما قام به من علمي الظاهر والباطن.

كان سريع الحفظ دائم الإطراق، كثير التأدب مع من تقدمه في السن، محافظًا على الامتثال، وكان يزور الأولياء ويلازم أضرحتهم، وذكر أنه كان إذا زار أبا مدين، وجد الرحمة، وأحس بالفيض، وخاطبه شيخه من قبره، ومع ذلك رمي بالإلحاد والتهود والتنصر، وضرب وسلب.

ومن كراماته أنه تقيد إنسان بالدعاء عليه لما خرج من السياحة، فلما عاد مات الرجل حالاً.

وخرج عليه رجل ليسلبه متاعه، فأصيب برجله.

ومن كلامه وفوائده:

قال: المنكِر لما لا يفهمه معذور لجهله، والمتعصب مأثوم بادّعاء ما ليس من أهله.

وقال: المؤمن يلتمس المعاذير، والمنافق يتبع المعائب والمعاثير، «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»(١).

وقال: إنما نص القوم على الأذكار بالغدو والآصال، اكتفاءً بالطرفين عن الوسط لتضمنهما له، أو لأن شواهد التوحيد في هذين الوقتين واضحة بوجود التغيير الظاهر لكل أحد، وأسباب التوجه في ذلك الوقت مقرونة بالحضور لاستجماع القوى. فلذلك ورد فضلهما في الذكر والفكر.

وقال: مقام النبوة معصوم من الجهل بمولاه في كل حال، من أول شئونه إلى أبد الآبدين.

وقال: كثر المدّعون في هذا الطريق لغربته، وبعدت الأفهام عنه لدقته، وكثر الإنكار على أهله للطافته، وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيه.

وقال: ما اتفق اثنان قط في شيء واحد من جميع الوجوه، وإن اتفقا في أصل الأمر أو فرعه أو بعض جهاته، ولذلك قالوا: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.

وقال: لا عبرة بتجلي الحقائق إذا لم يظهر عليك أثر منها؛ لأن ما لا يصح في عالم الشهادة شاهدة فهو مفقود في عالم الملكوت، وما خامر القلب فعلى الوجوه أثره يلوح. وقال: الظاهر في الوجود إنما هو الجلال؛ لأن صفة الجمال محشوة بمعاني الجلال، ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وقال: في طيّ الجلال بسطٌ شديدٌ لا يكاد صاحبه يحس بالنار، ولو أنه في الدَّرك السابع.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

وقال: لا يقال في الأنبياء أنهم سالكون؛ لأن السلوك لقطع عقبات النفس، ولا مجذوبون؛ لأن الجذب إنما هو عن ذلك، وهم مطهرون من آفات النفس في أصل النشأة.

وقال: المشاهدات مبنية على الطاعات، هي مبنية على المحبة، والسابقة والتوفيق المصحوب بالعناية الأزلية.

وقال: الصدق سيف الحق، قلده الله أرباب الحق، ما وضع على شيء إلا قطعه، ولهذا قالوا: من طلب صادقا، وصل إليه بأول قدم.

وقال: إذا كان الإيمان على ظاهر القلب، كان العبد محبًا للدنيا والآخرة، وكان مرةً مع الله ومرةً مع نفسه، وإذا دخل باطن القلب، أبغض دنياه، وهجر هواه.

وقال: ظواهر الأعمال حسنها وقبيحها ودائع الحق في الخوارج، وهي علامة، والعلامة لا توجب شيئًا ولا تنفيه، ولكن تدل على وجوده فيه: «اعملوا فكل ميسرٌ لما خُلق له»[1].

وقال: اتساع التصوف الإلهي أنه ما اتفق اثنان قط في طبيعة واحدة، ومن كل وجه، ولا مشى اثنان قط في طريقة واحدة المسلك؛ لأنه لا يقع قدم الثاني على قدم الأول في جميع المواضع.. فسبحان الواسع العليم.

وقال: صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه، ولا يصح مشروط بدون شرطه، ولا يرضى لعباده الكفر، فلزم تحقيق الإيمان ولزم العمل بالإسلام، فلا تصوف إلا بفقه؛ إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف؛ إذ لا عمل إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بالإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الكل لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، ولهذا قال الإمام مالك – رضي الله تعالى عنه –: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق.

وقال: إسناد الشيء لأصله، والقيام فيه بدليله الخاص به، يدفع قول المنكر لحقيقته.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٧٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٤١).

وقال: علم بلا عمل، وسيلة بلا غاية، وعمل بلا علم، جناية.

وقال: اختيار المهم في كل شيء وتقديمه أبدًا شأن الصادقين، فمن طلب من علوم القوم دقيقها قبل علمه بجمل أحكام العبودية، وعدّل عن جلي الأحكام إلى غامضها، فهو مخدوع، سيما إن لم يحكم الظواهر الفقهية، ويحقق الفرق بين البدعة والسنة.

وقال: في كل علم ما يخص ويعم، فليس التصوف أولى من غيره في عمومه وخصوصه، بل يلزم بذل أحكام الله المتعلقة بالمعاملات من كل عمومًا ، وما وراء ذلك على حسب قابله، لا على قدر قائله، «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟»(١).

وقال: الاشتراك في الأصل يقضي بالاشتراك في الحكم، والفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على أحكام الله وحقوقه، فلهما حكم الوصل الواحد في الكمال والبعض؛ إذ ليس أحدهما بأولى من الآخر في مدلوله، وقد صح أن العمل شرط كمال العلم لا شرط صحته، إذا لا ينتفي بانتفائه.

وقال: التصوف لا يعتبر إلاّ مع العمل به، فالاستظهار به دون عمل تدليس - وإن كان العمل شرط كماله - وقد قيل العلم يهتف بالعمل فإن وجده وإلا ارتحل.

وقال: لا يصح العمل بشيء إلا بعد معرفة حكمه ووجهه، فقول القائل: لا أتعلم حتى أعمل كقوله: لا أتداوى حتى تذهب علتي، فلا يتداوى ولا تذهب علته.

انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١/ ٢٢٢)، درة الحجال (١٢٦)، دوحة الناشر (٣٣)، الشذرات (٧/ ٣٦٣)، البستان (ص٤٥)، فهرس الفهارس (١/ ٤٥٥)، معجم سركيس (ص٩٦٥)، شجرة النور الزكية (ص٢٦٧)، أحمد زروق والزروقية (ص٢١)، طبقات الشاذلية (١٢٣)، هدية العارفين (١/ ١٣٦)، الكواكب الدرية (٧١٥) بتحقيقنا، جامع الكرامات (١/ ٣٦٠).

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه (١/ ٢٢٥).

توثيق الكتاب

أولاً بعض من ذكره من أصحاب صنعة الفهرسة والتوثيق:

ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ٦٦١).

وإسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٥٢١). وكذا في «هدية العارفين» (١/ ٧٣).

وذكره ابن العماد في «شذرات الذهب» (٧/ ٣٦٢)، والشيخ محمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» (١/ ٢٦٨).

وذكره البعض باسم: «مفاتيح العز والنصر على ما يتعلق - ببعض - حزب البحر». والبعض بـ«شرح حزب البحر».

ثانيًا: من أصوله الخطية:

نسخة دار الكتب المصرية [ب ١٩٤٩٢]، ونسخة الرباط بالمغرب [د ١٢٧٠]، ونسخة المكتبة الوطنية بتونس [١٥١٣٩].

وذكر علي فهمي خشيم في «أحمد زروق والزروقية» أن المصنف كتبه سنة ٨٩٥ هـ.

ثالثًا: نقل المصنف عن بعض كتبه، كشرح الرسالة وشرح الحكم، والقواعد.

رابعًا: النسخة المعتمدة: هي مطبوعة قديمًا في القرن الماضي، لم نجد عليها تاريخ طباعتها، ومكتوب عليها: كتاب شرح حزب البحر .....»، وقد قام بنشره .. الشيخ محمد سعيد الكردي .. وقد وجده مخطوطًا بخط الولي الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محمد الهاشمي - رضي الله تعالى عنه.

ولم يذكر خشيم ولا أحدٌ ممن وقفت على معاجمه في المطبوعات، طبعة هذا الكتاب التي اعتمدناه أصلاً بعد تصحيحه وضبطه، بل لم أقف على ذكرٍ لطباعة هذا الكتاب أصلاً؛ وربما ذلك لندارته.

وبالجملة: إليك الكتاب في حُلته الجديدة والله المستعان وعليه التكلان، وصل اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم كثيرًا.

شرح حزب البَحر

لقطب الأقطاب سيدي أبي الحسن الشاذلي

قدَّسَ الله سرَّه

تصنيف

العلامة الشيخ سيدي أحمد زروق

رضي الله تعالى عنه

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي الشيخ

الناشر

دار جوامع الكلم ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

حِزبُ البَحرِ لِسَيِّدِنا أَبِي الحَسَنِ الشَّاذلي

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

يَقْرَأ سُورة الفَاتِحة، رَبِّ يَسِّر وَسَهِّل وَلاَ تُعَسِّر يَا مُيَسِّر، أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، بِسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، (اللهم) يَا الله يا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ أَنتَ رَبِّي وَعِلمُكَ حَسْبِي فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي وَنِعمَ الحَسْبُ حَسبِي، تَنصرُ مَن تَشَاءُ، وَأَنتَ العَزِيزُ الرَّحِيم، نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ فِي الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنات وَالكَلِمَات، وَالإِرَادَات، وَالخَطَرات، مِن الشُّكُوك وَالظُّنُون وَالأَوْهَام السَاتِرة للقُلُوب عَن مُطَالعة الغُيوب، فقد ابتَلى الله المُؤمِنِين وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيدًا ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. فَثَبِّتنَا وَانصرنَا وَسَخِّر لنَا هَذَا البَحرَ كمَا سَخَّرتَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لمحمدٍ – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – وَسَخرتَ البَحرَ لموسَى – عليه السلام – وَسَخرتَ النَّار لإبراهِيمَ – عليه السلام – وَسَخَّرت الجِبَال وَالحَدِيدَ لِدَاودَ – عليه السلام – وَسَخَّرتَ الرِّيح وَالشَّياطِين وَالإِنْسَ والجِنَّ لسُلَيمَانَ – عليه السلام – وَسَخِّر لنَا كُل بَحرٍ هُو لَكَ فِي الأَرضِ وَالسَّماءِ، وَالمُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَبَحْرَ الدُّنْيَا وَبحرَ الآخِرة، إِنَّك على كُل شَيءٍ قَدِيرٌ. وَسخِّر لنَا كُلَّ شَيءٍ يَا مَن بِيدِهِ مَلَكُوت كُلِّ شَيء، كهيعص (ثلاثًا)، انصرنَا فإِنكَ خَير النَاصِرين، وَافتحَ لنَا فإِنَّكَ خَيرُ الفَاتِحِين، واغفِر لنَا فإِنَك خَيرُ الغَافِرين، وارزقنَا فإِنكَ خَيرُ الرَّازقِينَ، وارحمنَا فإِنكَ خَيرُ الرَاحِمِين، واهْدِنَا وَنَجِّنَا مِنَ القَوم الظَّالِمِين، وَهَب لنَا مِن لَدُنكَ رِيحًا طيبًا كَمَا هِي فِي عِلْمِكَ، وَانشرْهَا عَلينَا مِن خَزائِنِ لُطفِكَ وَرَحمتِكَ وَاحملنَا بِهَا حَمْل الكَرامةِ مَعَ السَّلامَة وَالعَافِيَة فِي الدين، وَالدُّنيَا، والآخِرة، إِنَّكَ عَلى كُل شيء قدِيرٌ.

(اللَّهُمَّ) يَسِّر أُمُورنَا مَع الرَاحة لِقُلُوبنَا وَأَبدانِنَا والسَّلامَةِ وَالعَافِيَةِ فِي دِينِنَا وَدُنيانَا، وَكُن لنَا صَاحِبًا فِي سَفَرِنَا، وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِنَا، وَاطمِس عَلى وجوهِ أَعدَائِنَا، وَامسَخْهُمْ عَلى مَكَانَتِهِم، فَلا يَسْتَطِيعونَ المُضيَّ وَلاَ المَجِيء إِلينَا، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦]، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٧]، ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ

لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-١٠].

شاهت الوجوه للحي القيوم (ثلاثًا). ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

طه، طسم، طس، حمعسق، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، حم حم حم حم حم حم حم، [حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون].

(اللهم) لا تَقْتُلني بغَضَبِكَ، وَلاَ تُهلكني بِعَذَابِك، وَعَافِني قَبل ذَلك، (اللَّهُمَّ) لاَ تُؤاخِذنِي بِسوءِ عَمَلِي، وَلاَ تسلِّط عَلَيَّ مَنْ لاَ يَرحمني، وَكُفَّ أَيدِي الظَالِمين عَنِّي، يَا حَفيظُ احفَظْنِي، وَيَسِّرْ أُمُورِي، وَحَصِّل مُرَادي، حُمَّ الأَمر، وَجَاء النَصر فَعَلينَا لاَ يُنصَرونَ، ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣]، بِسمِ الله بَابنَا، تَبَارَكَ حِيطَانُنَا، يس سَقفنَا، كهيعص كِفَايَتُنَا، حمعسق حِمَايَتُنَا، ق، وَالقُرآنِ المَجِيدِ وِقَايَتُنَا، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] (ثلاثًا) سِترُ العرشِ مَسبولٌ علينَا، وَعينُ الله نَاظِرةٌ إلينَا، بِحولِ الله لِا يُقدَر علينَا، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٠-٢٢] (ثلاثًا) ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] (ثلاثًا). ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] (ثلاثًا) ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] (ثلاثًا)، بِسمِ الله الذِي لاَ يَضُرُّ معَ اسمِهِ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلاَ فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم (ثلاثًا) وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوة إِلا بالله العَلي العَظيم (ثلاثًا).

ختام حزب البحر لسيدي زروق الفاسي

بِسمِ الله شَافٍ، بِسمِ الله كَافٍ، بِسمِ الله مُعَافٍ هُوَ اللهُ، لاَ حَولَ وَلاَ قـوَّةَ إِلاَّ بِـالله العَـلِيِّ العَظِيمِ، يَا اللهُ يَا نُورُ، يَا حَق يَا مُعِينُ، اكْسِنِي مِن نُورِكَ، وَعَلِّمنِي مِن عِلمِكَ، وَفَهِّمني عَنـكَ، وَاسمِعني مِنكَ، وأبصرنِي بِكَ، إِنكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَـدِيرٌ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وصَلَّى اللهُ عَلى خَيرِ خَلقه مُحمدٍ، يَا حَلِيمُ اسمَع دُعَائي بِخَصَائِصِ لُطفِكَ، آمين، وَصَـلَّى اللهُ عَلى سَيِدِنَا مُحَمدٍ النَّبي الكَرِيمِ وَعَلى آلهِ وَصحبِهِ وَسلَّم، تَسليمًا كَثـيرًا دَائـمًا إِلى يـومِ الـدينِ، وَالحَمدُ لله ربِّ العَالَمِينَ.

خَاتِم الحِزب: (ويقال: عزيمة حزب البحر نَحنُ في كَنَفِ الله، نَحنُ فِي كَنَـفِ بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم، ألف ألفِ لاَ إِله إِلا اللهُ، مُحَمدٌ رَسُولُ الله، فِي قُلوبِنَا حُشِرَت، ألف ألفِ لاَ إِلـه إلا اللهُ مُحمدٌ رَسُولُ الله، وَعَلى أَكتَافِنَا نُشِرت، أَلف ألفِ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، مُحمدٌ رَسُولُ الله، تَحُـولُ بَينَنا وَبينَ سَاعَةِ السوءِ إِذَا حَضَرَت، ألف ألفِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، مُحمدٌ رَسُولُ الله، دَارت بَنَا سُـورًا كَمَا دَارت بِمَدينَةِ الرَّسولِ – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

سُبحَان مِن أَلجَمَ كُلَّ مُتَمَرِّدٍ بِقُدرَتِه وَأَحَاطَ عِلمُهُ بِمَا فِي برٍّ وَبحرٍ، سُبحَانَ الله وَبِحَمده.

سُبحانك اللَّهم وَبِحَمدِكَ، نَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلا أَنتَ، نَستَغفرُكَ، وَنَتُوبُ إِليكَ.

سُبحَانَ الله العَظيم

وَصلَّى اللهُ عَلى سَيدنَا مُحمد خَاتَم النَبيين وَالمُرسَلينَ

وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالمين

ثم يَقرأُ الفَاتحة سَبع مرات

❀❀❀

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[مقدمة العلامة الشارح]

يقول الشيخ الإمام القدوة الهمام سيدي أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسي البُرنسي عُرِفَ بـزروق الفاسي -رحمه الله تعالى، ورضي عنه:

الحمد لله الذي فتح لأوليائه طرق الوسائل، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم انتصر واهتدى، ومن حاد عن طريقهم انتكس وتردى، ومن تمسك بأذيالهم أفلح وملك، ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك، أحمده حمد من لا ملجأ إلا إليه، وأشكره شكر من تحقق أن خير الدنيا والآخرة في يديه، واستعينه استعانة من لا يعول في الأمور كلها إلا عليه، وأستخيره استخارة موقن أن الخيرة في كل الأمور لديه، وأصلي على سيدنا محمد وأسلِّم، وعلى آله وأصحابه عدد خلق الله الكريم وأفضاله.

ثم أتوجه لتنبيه لطيف يكون كالشرح للحفيظة المعروفة بـ«حزب البحر» المنسوب للشيخ الإمام العالم العلامة الحبر سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ أبي الحسن على بن عبد الجبار الحسني المعروف بالشاذلي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – المعروفة مناقبه وفضائله، وأنه القطب الكامل، والمحقق الولي رجاء بركته وكرامته، وطلبًا لنفعه وإحسانه وفضيلته، ومن الله المعتمد في بلوغ التكميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم أقول والله المستعان وعلية التكلان: لا بدَّ من تقديم فصول بين يدي المراد نكمل ما نحن بصدده من الاستعداد، فأما المقدمة فتحتوي على فصول ثلاثة:

أولها: الكلام في حقيقة الحزب وحكمته وحكمه ووجه رده وقبوله.

الثاني: في شروط وضع الحزب، والعمل به، ونية واضعه ومستعمله، وحكم ذلك وما يلحق به.

الثالث: في اختصاص هذه الحفيظة باسم: «حزب البحر»، وسبب وضعه، ووجه التصرف به، وحكم ركوب البحر، وبعض خواصه والخواص الجارية فيه وبه.

وأما الخاتمة؛ فتدور على فصول ثلاثة مرجعها لحكم التشبه ووجهه وكيفيته،

ولنشرع الآن في فصول المقدمة تفصيلاً فنقول:

الفصل الأول من المقدمة

في حقيقة الحزب وحكمته وحكمه وتوابع ذلك

فأما حقيقة الحزب؛ فهو الورد المعمول به تعبدًا ونحوه، وهو في الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية، وتوجيهات، وضعت للذكر والتذكير، والتعوذ من الشَّر، وطلب الخير، واستفتاح المعارف، وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك، ولم تكن في الصدر الأول، ولا من جاء بعدهم بقريب، لكن جرت على ألسنة المشايخ المتصوفة، وصالحي الأمة بحكم التصريف، والنظر السديد اشتغالاً على البطَّالين، وإعانةً وترقيةً للمريدين، وتقويةً للمحبين، وحرمةً للمنتسبين، وتربيةً للمتوجهين من العبَّاد والزهاد وأهل الطاعة والسَّداد، وفتحًا للباب حتى يدخله عوام المؤمنين، لما رأوا قصر الهمم، وضعف العزائم، وبُعد النيات، ونقص القرائح، واستيلاء الغفلة، ومرض القلوب، وقلة اليقين.

ثم إن منهم مَنْ جرى مجرى الجمع والتفصيل؛ فجمع الأحاديث المرويّة في الصباح والمساء، وطرق التقديس، والتنزيه، والحمد، والثناء بالألفاظ الشرعية من غير زيادة طلبًا للسلامة، ووقوفًا مع الرسم في موقف الإرادة، وهو أسلم.

ومنهم: مَنْ جرى مجرى الإفادة مع ذلك، وهو أتم وأحكم لا سيما أن يجتنب الموهم والمبهم في أذكاره وأدعيته إلا ذكر الإلهام كالشيخ أبي الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– في أخذ ذلك بطريق التَّلقين والإلهام، وأخذه من أصوله في اليقظة والمنام، وهو أتم، وهذا أحسن الجماعة حالاً، وأفضلهم قصدًا صحيحًا، وأصدقهم مقالاً.

ومنهم: مَنْ وقف فيه موقف المعارف والعلوم، ولم يُبال بمبهم، ولا موهوم

كالشيخ عبد الحق أبي محمد بن سَبْعين(١) - رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ- إذ أتى بعبارات هائلة، وأمور مشكلة متطاولة، إما اعتبارًا لجريان حاله، وهو الظاهر؛ أو لأنه موضوع للخواص الذين لا يتوهمون به، وهو المتبادر لكن يتعين اجتنابه على الضعيف، بل والقوي من غير إنكار، مع ما أمكن من توجيه ذلك بوجه الحق، وإقامة الحجج والأعذار، والحق أبلج، والباطل لجلج، ومن عَرف؛ فليتبع، ومن جهل؛ فليسلم، فإن الإنكار ليس بشيء، والاعتذار بغير حق ضلال على الجملة والتفصيل.

فإن قلت: قد تكلم الناس في ابن سبعين - رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ - كلامًا فاحشًا يوجب عدم اعتباره، فكيف يلتفت إلى علومه وأدعيته وأذكاره؟

---

(١) هو الإمام شيخ الإسلام القطب الوارث المحمدي سيدي: أبو محمد عبد الحق إبراهيم بن محمد ابن نصر بن فتح بن سبعين، الإشبيلي المرسي، الرقوطي الأصل، الصوفي المُفترى عليه.
ولد في مرسية بالأندلس سنة ٦١٣ هـ وتوفي سنة ٦٦٩ هـ.
قلت: يتسم كلامه بكثرة ما يرد فيه من ألغاز وإشارات بحروف أبجد، وله تسميات مخصوصة في كتبه هي نوع من الرموز كما قال صاحب «عنوان الدراية». فمن كلامه الغريب مثلاً ما يكرره في كتاب «الإحاطة» من عبارة: «إيه!» أو قوله: «الله» ويكرر لفظ الجلاله فجأة أثناء كلامه، وتكرار لكلمة «إيه» اثنتي عشرة مرة في سطرٍ واحدٍ، واستعماله حروف أبجد بطريقة من الصعب استخراجها، كقوله في رسالة «الألواح»: «علمه في الإنسانية إنسان، وفي ح ح، وفي ن ن، وفي ج ج، وفي العالمية علم، وفي العاقلية عقل».
فهذه اصطلاحات نورانية، وأحوال فيوضية، بل إن تلك الأسرار التي هي مودعة في نفسه المقدسة ويريد ظهورها فيبرزها على حسب الواردات والتقريبات فتكون حينًا بالمخاطبة، وحينًا بالمكاتبة، وحينًا بالكلمة وحينًا بالأحرف، ومرة تلويحًا، وآجالاً وأخرى تصريحًا وتفصيلاً، وفي بعض الأوقات باصطلاح، وفي بعض أُخر باصطلاح آخر، وقد يجلو معنى واحدًا مكررًا سواء كان في حُلةٍ واحدة، أم بصور وحُلل أخرى، من مشرب واحد، فالشيخ ابن سبعين من أهل الاستغراق، وهذا حالٌ من أحوالهم، ولا ينقص ذلك من شأنه فهو وارثٌ محمديٌّ، ومتحققٌ ربانيٌّ، وصاحب ذوق نوراني - رضي الله تعالى عنه، وطريقته في الذكر فردية كما صرح في كثير من المقامات كالتوبة مثلاً، وراجع ما أوردنا من دراسة في «رسائله» وكذا في رسالته في الذكر «النصيحة أو النوية» (ص ٢٥٧)، و«أنوار النبي صلى الله عليه وآله وسلم» جميعهم (بتحقيقنا).

قلنا: لا يقبل قول إلا ببرهان، ولا يؤخذ شيء إلا بتبيان، وقد ثبت كونه من أهل العلم، ونقل عنه كونه من أصحاب الحقائق والأحوال، بل حقق ذلك جملة من أتى بعده من الرجال؛ فلا يلتفت إلى إنكار المنكر في إسقاط مرتبته، ولا يؤخذ من كلامه إلا ما كان واضحًا في رتبته، وكذا من كان غيره على طريقته، فإن كان للعلم حرمة؛ فللعلماء أيضًا حرمة، والمؤمن يلتمس المعاذير، والمنافق يتتبع العيوب، بل يحدثها بغير حق، ولا أجهل من متعصب بالباطل، أو منكر لما هو به جاهل.

واعلم أن الكلام صفة المتكلم، وما فيك يظهر على فيك؛ فالمبادرة بالإنكار كالمبادرة للاغترار، وأولى الناس بالحقِّ من وقف إلى بيان التحقيق، وتوقف في مواقف الضرر والضيق؛ إذ ما كان توقفه للاسترشاد، ولا مخالفة للمراد، وبالله تعالى التوفيق[1].

وبالجملة فأحزاب المشايخ صفةُ حالهم، ونكتةُ مقالهم، وميراثُ علومهم وأعمالهم، وبذلك جروا في كلِّ أمورهم لا بالهوى، فلذلك قُبِلَ كلامهم، ولا بما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه، فعاد ما توجه به عليه بعكسه، وما هو إلا كما يحكى: أن النحلة علَّمت الزنبور طريق النسج، فنسج على منوالها، وصنع بيتًا على مثالها، ثم ادَّعى أن له من الفضيلة ما لها، فقالت له: هذا البيت، وأين العسل؟!

وإنما السر في السكان لا في المنزل؛ فأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم، مؤيدة بعلومهم، مسددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم، حتى قال الشيخ أبو الحسن - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - في شأن حزبه الكبير: من قرأه كان له ما لنا، وعليه ما علينا.

---

(١) قلت: قد رددنا شبه المعترضين على سيدنا ابن سبعين - رضي الله تعالى عنه - ونفينا شبه الوحدة والحلولية عنه بمفاهيم ومطاعن الافتراء الزائف، وذلك في الكتابين السابقين، وكذلك في «إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول» فليراجع، فإن الأمر أمر دين!

قال سيدي أبو عبد الله محمد بن عبّاد[1] -رحمه الله تعالى: يعني له ما لنا من الحرمة، وعليه ما علينا من الرحمة.

قلت: والذي يظهر من قوة الكلام أن ذلك إثبات؛ لأنه في حَوزة الشيخ ودائرته بما هو أعم من الرحمة والحرمة، وهذا جارٍ في كلِّ أحزابه، وجميع طريقه؛ لأنه إذا كان الإيمان بطريقهم ولاية؛ فكيف بالدخول فيها بأدنى جزء؟ نعم، ولا يستعمل أحد ذلك إلا بعد المحبة لهم «وَمَن أَحبَّ قومًا حُشِرَ معهم»[2] كما قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال أيضًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- للرجل الذي سأله عن القوم، ولما يلحق بهم: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[3].

ويرحم الله الشيخ أبا عبد الله الترمذي الحكيم[4] – رحمه الله تعالى – حيث قال: اللهم إنا نتوسل إليك بحبِّهم؛ فإنهم أحبوك، وما أحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك؛ فتمم لنا ذلك حتى نلقاك.

وأنشدوا في ذلك:

لِي سَادَةٌ مِنْ عِزِّهِم ... أَقْدامُهُم فَوقَ الجِبَاهِ
إنْ لم أكُنْ مِنهم فَلِي ... فِي ذِكْرِهم عِزٌّ وجَاه

---

(١) هو الشيخ العارف سيدي محمد بن ابراهيم بن عباد النفرى الرندى الشاذلي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ صاحب: «المفاخر العلية في المآثر الشاذلية».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩/ ٣٧٩).

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٣٤٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٢).

(٤) هو الشيخ العارف الحافظ محمد بن على بن الحسن الترمذي الصوفي الشافعي، لقي أبا تراب النخشبي والبلخي وتلك الطبقة وسمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره وهو من أقران البخاري. قال الحافظ ابن النجار في «تاريخه»: كان إمامًا من أئمة المسلمين له الصفات الكبار في التصوف وأصول الدين ومعاني الحديث وفي شيوخه كثرة. وقال السلمي في «طبقاته»: له الشأن العالي والكتب المشهورة. توفي – رحمه الله تعالى – في حدود العشرين وثلاثمائة.

واعلم أن أحزاب الشيخ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ - جامعة بين إفادة العلم، وآداب التوجه، وتعريف الطريقة وتلويح الحقيقة، وذكر جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وذكر حقارة النفس وخستها، والتنبيه على خدعها وغوائلها والإشارة لوصف الدنيا، والخلق، وطريق الفرار من ذلك، ووجه حصوله والتذكير بالذنوب والعيوب، ووجه التنصل منها مع دلالة على خاص التوحيد، وخالصة واتباع الشرع، ومطالبه فهي تعليم في قالب التوجه، وتوجه في قالب التعليم، من نظرها من حيث العلم وجده كامنًا فيها، ومن نظرها من حيث العمل فهي عينه، ومن نظرها من حيث الحال وجده كامنًا فيها، وقد شهد شاهدًا بذلك عند الخاص والعام، فلا يسمع أحد من كلامها شيئًا إلا وجد له أثرًا في نفسه، ولا يقرأها إلا كان له مثل ذلك ما لم يكن مشغولاً ببلوى، أو مشغوفًا بدنيا، أو مصروفًا بدعوى، أعاذنا الله من البلاء.

فإن قلت: «هذا ظاهر من الحزب الكبير لا من الصغير الذي نحن بصدده».

قلت: «كل ما فيه من نسبة ما وضع من أجله على الوجه المذكور في غيره من تأمل ذلك وجده، وسنشير إلى بعضه إن شاء الله تعالى».

فإن قلت: قد أنكر تقي الدين ابن تيمية هذه الأحزاب وردَّها ردًا شنيعًا فما جوابه؟![1]

قلت: ابن تيمية رجل مُسلَّمٌ له باب الحفظ والإتقان، مطعونٌ عليه في عقائد الإيمان مَلْمُوز بنقص العقل فضلاً عن العِرفان، وقد سأل عنه الشيخ الإمام تقي الدين السبكي فقال: «هو رجل علمه أكبر من عقله»، والله أعلم[2].

فإن قلت: «قد قررتم حقيقة الحزب وحكمته فما حكمه».

---

(١) قلت: هناك كتابٌ سقيم قد طبع بمصر، ينبئ عن عدم معرفة وفهم لمقصد الشيخ -رضي الله تعالى عنه- وحجب المعترض عن معارف السادة الصوفية ومشاربهم النورانية، ولولا خشية الإطالة لرددنا على كل اعتراض وضعه في كتابه هذا لا سيما اعتراضه على حزب البحر في (ص ٣٤ -٦٨)؛ ولكن آثرنا عدم إدخال الظلمة على النور.

(٢) قال أبو الصلاح الوفائي في «تعطير الأنفاس»: ولما اعترض بعض الفقهاء على الشيخ أبي الحسن ﷺ في ابتداء حزبه المسمَّى بـ«حزب البحر». فقال لهم الشيخ: والله لقد أخذته مِن فِي رسول الله ﷺ حرفًا بحرف، فسلَّموا له ذلك.

قلنا: حكمه الجواز عند جماعة من الصوفية، وكثير من العلماء؛ لأنه مما يتعبد به، وليس في الشرع ما يدل لنفيه بل ما يؤيد إثباته في آحاده، وإن لم يرد بجملته.

وقد حكى ابن الحاج[1] - رحمه الله تعالى: في فضل الذكر بعد صلاة الصبح من «المدخل»[2] في هذا الأصل قولين: الجواز للشافعي، والكراهة لمالك، واستدل الأول بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُه لَكُم فَهو عَفو»[3].

وقد أعلم بما سيكون من أمته، ولم ينه على شيء من ذلك مع أن ما وقع فيه مما رغب في نوعه وأصل ذلك أن ما لم يجري به عمل السلف فلا خير فيه؛ لأنهم كانوا أحرص على الخير وأعلم بالسنة، وكافة أهل الأقطار في هذه الأعصار، وما قرب منها مطبقون على تسويغ ذلك اليوم وهو أهل الصوفية فيما يجمع قلوبهم على مولاهم إذ سُئل الجنيد[4] - رحمه الله تعالى - عن السماع! فقال: «كل ما يجمع العبد على مولاه فهو مباح»[5].

وسُئل أبو علي الدقاق[6] -رحمه الله تعالى- فقال مثل ذلك حاكيًا عن المشايخ،

---

(١) هو الإمام العالم العامل: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي المعروف بابن الحاج من أصحاب ابن أبي جمرة نزيل القاهرة المتوفى بها سنة ٧٣٧ سبع وثلاثين وسبعمائة. له: شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علم الحروف، مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، المعروف بالمدخل (بتحقيقنا) مصر.

(٢) في (١/ ١٣١).

(٣) رواه أبو داود (٣/ ٣٥٤)، بنحوه.

(٤) هو سيد الطائفتين، ومفتي الفريقين وإمامهم وتاجهم وطاووس العباد وقطب العلم والعلماء: الجنيد أبو القاسم الجنيد بن محمد ابن الجنيد الخراز القواريري - قدس الله روحه - انظر كتابنا: «الإمام الجنيد سيد الطائفتين»، وروضة الحبور لابن الأطعاني (بتحقيقنا).

(٥) انظر: الرسالة (٢/ ٦٤٤) بلفظ: السماع فتنةٌ لمن طلبه، ترويحٌ لمن صادفه.

(٦) هو لسان وقته وإمام عصره، كان فارهًا في العلم مبسوطًا في الحلم محمود السيرة، مجهود السريرة، جنيدي الطريقة، سري الحقيقة الحسن بن على الأستاذ أبو على الدقاق النيسابوري الشافعي، له كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة، وأقوال ومآثر فاخرة.

ذكره القشيري في آخر باب السماع من «الرسالة»[(١)].

ولما تكلم الشيخ [أبو عبد الله بن عبَّاد - رحمه الله تعالى-][(٢)] في رسالته هذه حيث كان الناس على طريق التحفظ في الاتباع ونحوه: فأما اليوم ينبغي أن يتمسك به؛ لأنه من روائح الدين التي انقطعت وذهب أثره بالكلية هذا مضمون كلامه، وهو حسنٌ في العموم فانظره!.

وقد جاء في الحديث ما يؤيد ذلك.

ثم ما ذكره في هذه الأحزاب من الأذكار ونحوها لا يخلو من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون مستعملاً بالتكلف والصناعة، وهذا منهي عنه شرعًا إذ قد نهى - عَلَيْهِ السَّلَامُ- عن تكلف السجع في الدعاء فكيف بغيره، ونهى عن الاعتداء في الدعاء إلى غير ذلك.

الثاني: أن يكون بغير ذلك، ولكنه محتوي على موهمات لا وجه لها في إطلاق الشرع، وإن كان له وجه في المعنى، وهذه تمنع في العموم، وقد تباح بالخصوص بقيد الحال، أو ما يقوم مقامه تأدبًا مع الله تعالى، وحفظًا لعقائد الضعفاء.

الثالث: أن تكون سالمه من ذلك، وفيها رموز واقعة في القرآن، أو السنة، أو مواطئه لما فيهما فيجري الخلاف فيها على ذلك ما لم تكن منقولة بلفظها، فيقع البحث في موضعها.

وهذا الوجه هو المعترض على الشاذلية، وجوابه: أن ذلك جارٍ بحكم الإلهام الصحيح أو الإلقاء الصريح في المنام، والإلهام معمول به فيما لا ينافي الحكمة، ولا يغير الحكم، ولا تثبت الأحكام وهذا منه لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لأن يكون في

---

(١) في (ص ٣٣).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب [الشيخ القشيري] ونصه فيها (ص٣٣): سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق- رحمه الله تعالى- يقول: لما راعى أبو محمد، أدب الأكابر في حال السماع، حفظ الله عليه وقته، ببركات الأدب، حتى يقول: أمسكت على نفسي وجدي، فإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجد؛ لأنه لا يمكن إرسال الوجد، إذا شئت، بعد ذهاب الوقت وغلباته؛ ولكنه لما كان صادقًا في مراعاة حرمة الشيوخ، حفظ الله تعالى عليه وقته، حتى أرسل وجده عند الخلوة.. وانظر: باب السماع في المفاخر العلية (ص١٢٧)، بتحقيقنا.

الأمم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر منهم»[1].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة»[2].

وفي رواية: «وما كان من النبوة لا يكذب»[3] نعم! وأحزاب سيدنا - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قد صحَّ كونها من أحد الوجهين بل صرَّح - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- بأنه ما وضع منها حرفًا إلا بإذن من الله -جلَّ جلاله- ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله؛ فهو مبتدع»، نعم الإذن الذي أشار إليه إما أن يكون بالرؤيا في النوم، وإما أن يكون بالوجه الحكمي على معنى أنه لم يقع فيه إلا ما أذن الشرع في وضعه، وإما إن يكون بالإذن الحالي الذي عمدته الإلهام، والأول أولى إذ لا خصوصية للثاني والثالث وأحسن؛ لأنه مقتضى الطريقة؛ لكن شرطه موافقة الذي قبله، ولو بوجه ما جمع بين الحقيقة والشريعة، ثم إن تأييد ذلك برؤيا المنام فهو أتم، وظاهر حال الشيخ جمع الثلاثة، والله تعالى أعلم.

فإن قلت: يقول الشيخ في غير موقف: قيل لي: كذا على أي وجه هو؟

قلنا: بمعنى الإلهام بأن يقع في نفسه وقوعًا لا يمكن تكذيبه، ولا يصح رده، ولا يصحبه هوى، يثلج به الصدر، وينشرح به القلب، ويسري في عوالمه سريانًا يفهم به حقيقته، ولا يفتقر إلى دليل خارج عنه مع موافقته لأصل الشرع في الإباحة أو الطلب هو معنى المكالمة في اصطلاح القوم.

قال الشيخ أبو محمد المرجاني - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «مَنْ ظن أن الله يكلم أحدًا بعد الأنبياء كما كلم موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فقد ضلَّ أو حاد عن الطريق»، أو كما قال: «وإنما مكالمة الله عند القوم مخالطة عوالمهم اللطيفة التي لا يتطرق إليها الغلط، ولا يدخلها الشك والتردد لشاهد الحال، ودوام التجربة مع موافقة أصل الشرع، والله أعلم.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ١٣٨).

(٢) رواه البزار في «المسند» (٤/ ١٢٦).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢٥٧٤).

فإن قلت: حكي عن الشيخ الفقيه الصالح أبي عبد الله بن عرفة التونسي[١] - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أنه قال: «ما يثقل على شيء مثل ما يثقل على قوله قيل لي قاله ولا أقبله، ولو من المرجاني المقطوع بولايته[٢]».

قلنا: أما ثقله عليه فمن عدم اعتياده، وكثرة ما يجري من المدَّعين بسببه، ولا لفظ موهم بصورته، وهذا الثقل ليس بحجة في نفسه لعدم إبداء الوجه، والدليل فيه، ولما كونه لا يقبله فلا يضر ذلك وهو على علمه لا يضره تقيده كما لا يضره اعتراضه بما علمه، ولا يقدح ذلك في حق غيره؛لأن حكم الله تعالى في كل أحد ألا يتجاوز علمه إلى غيره ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

وأما كون المرجاني مقطوع بولايته، فإن كان قطعه ذلك من جهة العقل فليس للعقل في ذلك من مدخل، وإن كان من جهة النصوص فلا نص في عينه، وإن كان من جهة الشواهد فشواهد الأحوال لا تفيد القطع، وإن كان من جهة الإجماع في وقته فلا يفيد القطع اليوم لعدم تواتره، ثم ليس هو بأولى من غيره في زمانه، وإن كان لظهوره وشهرته فغيره أظهر منه بل الشاذلي أثر في النفوس، وأقوى عند الكافة خاصة وعامة جملة وتفصيلاً، والجيلاني- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- كذلك حتى قال عز الدين بن عبد

---

(١) هو الشيخ محمد بن محمد بن عرفة الورغمي أبو عبد الله التونسي المالكي ولد بتونس سنة ٧١٦ وتوفي بها سنة ٨٠٣ هـ له: تساعيات في الحديث. تفسير القرآن، - براوية الآبي، والبسيلي- والحدود. عشاريات في الحديث. المبسوط من فروع المالكية في تسعة أسفار. مختصر الحوفي في الفرائض. منظومة في قراءة يعقوب.

(٢) هو عبد الله بن محمد، أبو محمد المرجاني الواعظ المذكر الزاهد القرشي التونسي، كان مفتيًا عالمًا مفسرًا مذكرًا حُلو العبارة كبير القدر له شهرةٌ في الآفاق. قدم الإسكندرية وذكر بها وبالديار المصرية وكان بارعًا في مذهب مالك عارفًا بالحديث له قدمٌ في التصوف والعبادة والزهد، ولم يصنف فيه شيئًا، ولا كان أحدٌ يقدر يعيد ما يقوله لكثرة ما يقول على الآية، ولربما فسر في الآية الواحدة على لسان القوم ثلاثة أشهرٍ، توفي -رحمه الله تعالى- بتونس سنة تسعٍ وتسعين وستمائة، وحضره صاحب تونس المستنصر أبو عبد الله محمد بن الواثق، وعاش اثنتين وستين سنةً وصلي عليه بالقاهرة، انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ٥٠٠).

السلام: «ما بلغت كرامات ولي مبلغ القطع والتواتر إلا كرامات الشيخ عبد القادر – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–».

فأما سداد الطريقة وكمال الهداية فالكل على هدى من ربهم حسبما شهدت به أخبارهم، ودلَّت عليه آثارهم، وبالله التوفيق.

فإن قلت: وما دليلكم على جواز استعمال ما يجري بالإلهام من الأذكار والأدعية، وإثبات خاصيتها بالاستنباط.

قلنا: الدليل على ذلك صريح السنة، والأحاديث النبوية بتقريره – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – لأذكار وأدعية سمعها من كثيرين في أوقات مختلفة بألفاظ متباينة، ومعانٍ واضحة وثنائه عليها وعليهم باستعمالها مع أنهم لم يتقدم لهم تعليم ولا تعلم عنه منهم– عَلَيْهِ السَّلَامُ – في ألفاظها، وإن عرَّفهم معانيها، وعرفوا مبانيها، فمن ذلك حديث ابن بريرة – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا اله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد فقال: لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى»[1] رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه وصححه ابن حبان، والحاكم، وقال: على شرط مسلم.

وفي حديث معاذ بن جبل – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – سمع رجلاً يقول: «يا ذا الجلال والإكرام فقال: استجيب لك فسل تعطه»[2] أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وفي حديث أنس – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥١٥)، وأحمد (٥/ ٣٦٠)، وابن حبان (٣/ ١٤٧)، والحاكم (١/ ٣٦٨).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٣٥).

مرَّ بأبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ، وهو يصلي، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، يا حنان، يَا مَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، فَقَالَ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[١]، أخرجه أبو داود، وابن حبان، والنسائي في صحيحه، وقال الحاكم: على شرط مسلم.

وفي حديث أبى هريرة وأبي أيوب- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - في حفظه الزكاة: «إذ وجد الجني سرق منها فتضرع فأرسله ثم كذلك حتى قال في الآخرة: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فقال: أنا أذكر لك شيئًا إذا قرأته في بيتك لا يقربك شيطان ولا غيره قال: وكنا أحرص شيء على الخير فذكره له آية الكرسي»[٢] رواه البخاري وغيره بما يطول سياقه.

وكذلك حديث أبي سعيد -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- في رقيته الملدوغ بالفاتحة، وتقرير النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لذلك، وعدم عتبه فيه، وقد وقع في ذلك من أذكار والأدعية ما يفيد الجواز تتبعه بوجه لا يمكن دفعة؛ فهو أصل في هذا الباب، والله أعلم.

نعم! وقد أدخل مالك -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- في باب دعاء النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- من «الموطأ»[٣] قول أبي الدرداء - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- عند قيامه من الليل: «نامت العيون، وهدأت الجفون، ولم يبقَ إلا أنت يا حي يا قيوم»؛ فإن قيل: هذا محمول على الدفع؛ لأن أبا الدرداء لا يقوله إلا بعد سماعه.

قلت: الأصل خلاف ذلك، ولا معارض في الأصل الذي هو المعنى، فهو من جملة ما يترجح به المقام الذي نحن فيه، والله أعلم.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٧٩)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٩٤)، وابن حبان (٣/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ٦٨٥) وبنحوه.
(٢) رواه البخاري (٢/ ٨١٨)، والترمذي (١٠/ ١١٠).
(٣) في (١/ ٢١٩).

الفصل الثاني

في شروط وضع الحزب، والعمل به

ونية واضعه، ومستعمله، وحكم ذلك، وما يلحق به

فأما شروط وضعه؛ فثلاثة: أن يجري بحكم الحال لا بالهوى، والاختيار الصناعي، وأن يكون سالم اللفظ من الإيهام والإبهام والأشكال لموافقته ألفاظ الشارع ومعانيه ورجوعه لأصوله، ومبانيه وأن يكون مقصودًا لوجه الله لا بقصد الاستتباع والاستظهار والرياء؛ لأن كل كلام مصحوب بحالة صاحبه فمن كان هو هوى آثر الهوى، ومن تكلم عن هدي اهتدى بكلامه، ومن لا فلا.

قيل لحمدون القصار[1]- رحمه الله تعالى: «ما بال كلام السلف أنفى من كلامنا» قال: «لأنهم تكلموا لنصرة الدين، وعز الإسلام، وأنتم تتكلمون لنصرة النفوس، واتباع الهوى». أو كما قال.

وفي حِكم ابن عطاء الله – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «كُلُّ كلامٍ يَبْرُزُ وعليه كِسْوَةُ القلبِ الذي منه برزَ» بعد أن قال: «تسبقُ أنوارُ الحكماءِ أقوالَهم فحيثما صارَ التنويرُ وصلَ التعبيرُ»[2].

---

(١) هو حمدون القصَّار النيسابوري: أحد الائمة الكبار، مواعظه سديدة، وكلمته مفيدة، وديانته وافية وافرة، وشمس مناقبه وكراماته باهية باهرة سافرة، وهو شيخ الملامتية صحب النخشبي وغيره. مات سنة إحدى وسبعين ومائتين، ودفن بنيسابور، وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان، وروى عنه آخرون.

(٢) قال الشرقاوي –رحمه الله تعالى: «من أذن له في التعبير»، عن الحقائق من العارفين بالله تعالى وهي علوم الوهب والفتح المأخوذة عن الله تعالى بلا واسطة، وعلامة الإذن له في ذلك تيسير التعبير عليه وسهولته وعدم احتياجه في إلقاء المعارف إلى كلفة بل يجد لسانه منطلقًا بها ويجد عنده باعثًا إلى التعبير عنها مع السلامة من آفات النطق، وعلامة ذلك بالنسبة للسامعين ما ذكره بقوله: «فهمت في مسامع الخلق عبارته»، فلم يفتقروا إلى معاودة وتكرار جمل الأسماع محلاً للفهم مبالغة وإلا فمحلها حقيقة القلب، «وجليت» بضم الجيم وتشديد اللام أي: ظهرت «إليهم إشارته»، وهي ألطف من العبارة التي يستعملها أهل الطريق في الإخبار عن العلوم الباطنية والحقائق العرفانية أي: فلا يحتاجون إلى إطناب بخلاف غير المأذون له في ذلك، [المنح القدوسية شرح الحكم العطائية ص٢٧٦]، بتحقيقنا.

وهو معنى قولهم: فما خرج من القلب دخل القلب، وما قصر على اللسان لم يتجاوز الآذان، ومن تحقق بحاله لم يخل حاضروه منها، فافهم.

وأما شروط قبوله فثلاثة:

كون واضعه من يصح أن يقتدي به وهو المنيب إذ قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [لقمان:١٥] كونه سالمًا من الإيهام، والإبهام الخارج عن النصوص، والإفهام ثم رجاء النفع به من حيث الخاصية والتذكير الإلهام إلا فهو تلاعب، أو ضلال، أو غير مفيد في بابه، ومن كمال ذلك أن يكون خاليًا من التكلف مصحوبًا بالنور ملفوفًا بانشراح الصدر له، وهذا من أحزاب الشاذلي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– واضح وشروط المقتدى به ثلاثة:

هي المحصل الإنابة أولها: قيامه بحفظ حرمة الله ورسوله وأهل الاختصاص من عباده مع الرحمة لكافة خلقه، والقيام فيهم بحقه.

الثاني: صحة أعماله بالسنة والتقوى، وتكميلها بشهود المنعة، وترك الدعوى ظاهرًا وباطنًا، حركة وسكونًا في كل وقت، وعلى كل حال.

الثالث: أحكام أمره بالبصيرة النافذة، والعلم الصحيح، وإن لم يكن تعبير ولا لسان فصيح ثم لا يضره طروء النقص يومًا، وإذا لم يقع إصرار ولا نقص للأصول بإرسال الجوارح في معاصي الله، والتصنع في طاعة الله، أو الطمع في خلق الله؛ لأن هذا من عمي البصيرة كما قال الشيخ –رحمة الله عليه– وقد توفرت الشروط في الشيخ أبي الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – وأحزابه فلا وجه لإنكارها، ولا لعدم الاقتداء به، وشواهد ذلك فيما ينقل من أحواله، وما يتلى من علومه، وما اشتهر من كراماته مع اعتناء علماء وقته فمن بعدهم بشأنه كعز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء، وهو

آخر المجتهدين في عصره بل تمت كلمة الإجماع من استحسان طريقته، وشكر حالته لولا ما وقع لابن تيميه من ذكره إياه بما فيه من جميل أوصافه في حالته، وإن أبى قبول طريقته في أحزابه وأذكاره فلقصر عارضته، وقد تقدم وجه الردّ بقوله: وقد كان بعض مشايخنا من أهل الورع يقول للحالف: أن يحلف ولا يستثنى أن طريق الشاذلية عليها كانت بواطن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - أو كلامًا هذا معناه، وقد جعل الله - سبحانه وتعالى- كلام الرجل علامة على حاله؛ إذ قال عزَّ من قائل- جل جلاله -: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠] فيعرف حال الرجل بثلاثة: كلامه، وسمته، وعمله فإذا كان كلامه سديدًا، وسمته منورًا وعمله صالحًا فهو كذلك وإلا فليس هناك قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان في منافق: حُسن سَمت، وفقه في دين»[١].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق»[٢].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كل الخلال يطبع عليها المؤمن ليس الخيانة، والكذب»[٣].

وبالجملة: فالشيخ أبو الحسن - رضي الله تعالى عنه - كان من أعظم الناس مزية في وقته كما ذُكر، وأكبرهم منزلة فيما عُرف، ووقع الإجماع على قَبول طريقته بعده، فهو ممن يقتدى به، ويهتدى بهديه؛ لثبوت ديانته، وكمال عقله وصحة عمله، وسداد طريقته،

(١) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٤٩).
(٢) رواه الترمذي (٤/ ٣٤٣).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٤).

وما أُشكل من كلامه تعين تأويله كغيره من أئمة الدين وقادة المسلمين بالوجه القابل له، فإن لم يوجد وجه له سُلِّم له، ولا يعترض عليه بمجرد الإيهام والإشكال الذي لا إيهام فيه، وتُذكر أحزابه؛ لأنها مجربة البركة معروفة المعاني، ظاهرة الرموز مستندة للكتاب العزيز بل غالبها أو كلها منقولة منه إلا نادرًا، وهو واضحٌ لا إخلال فيه، ولا شبهة، نعم! يشترط في العمل بها أمور ثلاثة لا بدَّ منها:

أولها: تقديم ما جاء عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه الأهم، والأوجب، والرَّوح المنعش لها، وسوء في ذلك ما كان على وجه التقرب والتوجه، أو على وجه الطلب والتسبب؛ لأن نور هذه وفائدتها مكتسب من تلك فهي شرط إفادتها.

الثاني: أن تكون قراءته لها مصحوبة بتدبر معانيها إن تأهل لذلك؛ لأنها علم في طي توجه وتوجه في طَي علم، وعلم مقرون بحال، وحال مؤيد بعلم، وعلى ذلك جرى طريق صاحبها رحمة الله عليه ورضوانه لديه.

الثالث: أن يتقي الخوض في معاني ما لا يفهمه دون تحقيق، أو بذكر ما لا يعرفه بها لا يليق بمثله إلا على سبيل الاستطراد والحكاية مع التسليم كقوله هنا: «سيقول المنافقون...إلخ» وسنتكلم عليه، وكقوله في «الكبير»: «وليس من الكرم؛ إذ لا يقوله إلا مُدل أو حاكٍ عن مُدلٍ، وإن كان صحيحًا في نفسه، والله أعلم».

واعلم أن للشارع في كل باب من المطالب إفادة، وللأولياء في ذلك زيادة، فمن جمع بين إفادة الشرع وزيادة الأولياء، فهو على اهتداء واقتداء، ومن أفرد أحدهما كان نقصه بحسب ذلك؛ لكن نقص الاهتداء يمنع الفائدة، ونقص الاقتداء قد لا يضر؛ لأنه مقوي فقط، والوقوف معه بهجران ما ورد شرعًا مُضر دُنيا وأُخرى.

❁❁❁

فائدة

فإذا أردت العمل بذكر ورد عن ولي في باب فقدم ما ورد عن الشارع في ذلك، وسأذكر لك في ذلك سبعة أمثاله:

أولها: إذا أردت استعمال «حزب البحر» للسلامة من عَطبه فقدِّم عند ركوب السفينة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] إذ قد جاء في الحديث أنه أمان من الغرق[1].

الثاني: إذا أردت الخروج من الضيق إلى السَّعة، فعليك بما كان الشيخ – رضي الله تعالى عنه – يعلمه أصحابه بذلك من قوله: «يا واسع يا عليم، يا ذَا الفضل العظيم، أنت ربي، وعلمك حسبي أن تمسسني بضر فلا كاشف له إلا أنت، وأن تردني بخير فلا راد لفضلك تصيب من تشاء من عبادك، وأنت الغفور الرحيم» فقدم ملازمة الاستغفار به إذ قد جاء: «أن الله يجعل لملازمه من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب» واستعمل دعاء الكرب المروي للبخاري وغيره: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ»[2].

وما في أبي داود من حديث أبي إمامة – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – الذي اشتكى دُيونًا، وهُمومًا اعترته فعلمه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ

---

(١) نصه: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفينة أن يقولوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾» رواه ابن السني عن سيدنا الحسين بن علي (٥٠٠) ورواه الطبراني عن سيدنا ابن عباس – رضي الله عنهم.

(٢) في صحيح البخاري (٥٨٧٠).

وَالْحَزَنِ... إلخ »[١]. وقال: قله بعد الصبح والمغرب ثلاثًا إذا أردت النصرة على الأعداء، فتستعمل ما كان الشيخ يعلمه أصحابه لذلك من قول: «بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، اللهم اجعل كيدهم في نحورهم، واكفنا شرورهم حسبي الله، وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقال: يذكر سبعًا دُبر كل صلاة، فقدم عليه ما كان – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – بقوله إذا خاف قومًا: «اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وندرأ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَفِي نُحُورِهِمْ»[٢].

وكان –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– إذا خاف عدو قال: «اللهم اكفنيهم بما شئت»[٣].

الرابع: إذا أردت السلام من ظالم تدخل عليه فاستعمل ما أشار به الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:٢٧]، فقدم ما جاء في الحديث لمن خاف سلطانًا أو ظالمًا أن يقول: «الله أكبر أعزّ من خلقه جميعًا، الله أعز ممن أخاف واحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شرّ عبدك فلان، وجنوده، وأتباعه، وأشياعه من الجنّ والإنس، اللهم كن لي جارًا من شرّهم، جَلَّ ثناؤك، وعزَّ جارك، ولا إله غيرك»[٤] ثلاث مرات كما رواه الطبراني وغيره.

---

(١) في سنن أبي داود: (١٣٣٠).
(٢) رواه أبو داود (١٣١٤)، وأحمد (١٨٨٨٧).
(٣) رواه النسائي (٦/ ٥١١)، بنحوه.
(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٥٨).

الخامس: قال الشيخ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «إن أردت ألا يصدأ لك قلب، ولا يلحقه هم ولا كرب، ولا يبقى عليه ذنب فأكثر من سبحان الله العظيم وبحمده، لا إله إلا الله محمد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ثبت عليها قلبي، واغفر لي ذنبي، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقل الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى».

فمن أراده فليستعمل معه: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»(١)؛ فما قاله أحدٌ إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا.

السادس: حزب البحر والحفيظة التي أولها: (بسم الله المهيمن العزيز) موضوع كلاهما للجلب والدَّفع.

وقد جاء في الحديث: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»(٢) ثلاثًا عند نزول المنزل في السفر أمان حتى يرتحل عنه.

وجاء: «﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١] لنفي وحشته»(٣).

وجاء: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، والمعوذتين ثلاثًا صباحًا، وثلاث مساءً تكفيك من كل شيء»(٤)

وجاء أيضًا: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء وهو السميع العليم من قالها:

---

(١) وهذا نص حديث في «مسند أحمد» (٨/ ٦٣).
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٨١).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) رواه أبو داود (٤/ ٣٢١).

ثلاثًا صباحًا لم تصبه فجاءة حتى يمسي، وإن قالها: مساءً فكذلك حتى يصبح »[1].

السابع: قد ذكر المشايخ وجوهًا وأذكارًا لطلب الغنى.

وفي الحديث يقول بين الفجر والصبح: «سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان من يمن ولا يمن عليه، سبحان من يجير ولا يجار عليه، سبحان من يبرأ من الحول والقوة إليه، سبحان من التسبيح من منه على من اعتمد عليه، سبحان من يسبح كل شيء بحمده سبحانك لا إله إلا أنت يا من يسبح له الجميع تداركني بعفوك، فإني جَذوع، ثم يستغفر الله مائة؛ فإنها لا تأتي علية أربعون يومًا إلا وقد أتته الدنيا بحذافيرها»، وهو مجرب الفائدة[2].

والحاصل من هذا كله أن أثر أسرار الأولياء مقيد بأسرار الشريعة، فمن أراد نجاح مقصده فليقدم الشرعيات، ثم يتبعها ما يرد من نوعها.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو العباس -رحمه الله تعالى- في كتابه «قبس الاهتداء إلى وقف السعادة» حيث قال: لمن عرف أوراده ... إلخ؛ فانظره.

واعلم أن الذِّكر والدعاء وغيرهما لا يبدل قدرًا[3]، ولا يغير قضاءً، وإنما هو عبودية اقترنت بسببٍ كاقتران الصلاة بوقتها، ورتب عليه الإجابة كما رتب ثواب الصلاة عليها.

وبالجملة: فهو يفيد عين المقصود، أو اللطف في القضاء، أو سهولة الأمر على النفس حتى تبرد حُرقة الاحتياج التي هي مقصود الطالب؛ لتوجهه محفوظًا مستسلمًا حسب الظن بالله فيما تطلب، واتبع ذلك بالرضاء والتسليم، وربك الفتاح العليم.

❁❁❁

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٣٢٣).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣/ ٤٣٤)، بنحوه.

(٣) الدعاء غير رادٍّ للقدر فإنه أيضًا من القدر إلا إن القدر مستور عنّا.

الفصل الثالث
في اختصاص حزب البحر بهذا الاسم، وسبب وضعه ووجه التصرف به وحكم ركوب البحر، وبعض خواصه والخواص الجَارية فيه

فأما اختصاصه باسم حزب البحر؛ فلأنه وضع فيه ومن أجله، وفيه وقع أول التوجه به والذكر البحور المذكورة فيه بما ذكرت به من أسمائها وأماكنها؛ ولأنه بحر في علمه وخواصه بحيث لو توجه إليه أحد الشرح على حقيقته لم يقدر على استيفاء معانيه، ويكفي في ذلك ما فيه من الفَواتح أعني: الحروف المرموزة في أوائل الصور.

فقد قال سيدنا علي -كرم الله وجهه: «إنه لو شاء لوقر سبعين بعيرًا في معاني ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، وكذلك القول فيما هو من نوعها.

وأما سبب وضعه: فإن الشيخ سافر في بحر القَلزم[1] مع نصراني بقصد الحج، فتوقف عليهم الريح أيامًا فرأى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- في نومه فبشره ولقنه إياه فقرأه، وأمر النصراني بالسفر، فقال: رأينا الريح فقال: افعل، فإنه الآن يأتيك، فكان كما قال، وأسلم النصراني بعد ذلك فقد أطال عهدي بالحكاية فانظرها.

وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمة يتصرف به في الجلد والنفع، ويروي المراد عند قوله: وسخر لنا هذا البحر كذا.

---

(١) القلزم: هو داخل في أرض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه أرض الحوراء وطنسه والنبك وأرض مدين وأرض أيلة فصاعدًا إلى المقطم بمصر، والغربي منه ساحل عيذاب إلى بحر النعام إلى المقطم، والبحريّ منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم إلى الفرماء مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فيما بين البحرين طحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقيّ أرض مصر من الحوراء إلى العريش، وهو مهب الصبا منها، فهذا المحدود من أرض مصر، وما كان بعد هذا من الحدّ الغربي، فمن فتوح أهل مصر، وثغورهم من البرقة إلى الأندلس. المواعظ والاعتبار للقزويني (١/ ١٨).

قال ابن عبَّاد -رحمه الله تعالى-: فيها رأيت بخطه وهو صحيح.

وقال ابن عطاء الله- رحمه الله تعالى - في «لطائف المنن»: وهو ورد بعد صلاة العصر، والحزب الكبير بعد صلاة الصبح.

قلت: ومناجاة حكم ابن عطاء الله – رضي الله تعالى عنه – عند السَّحر، ولكلٍّ سر يخصه يعرفه المراقب له في أقرب مدة إذا لازم التقوى والاستقامة دون كثير تكلف، وأما حكم ركوب البحر من حيث هو فلا خلاف اليوم في جوازه، وإن اختلف فيه نظر السلف ثم هو ممنوع في أحوال خمسة:

أولها: إذا أدَّى إلى ترك الفرائض أو نقصها، فقد قال مالكٌ للذي يميد أي: يتحرك فلا يصلي: «أَيَرْكَبُ حَيْثُ لَا يُصَلِّي وَيْلٌ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»[1].

---

(١) قَالَ مَالِكٌ فِي سَمَاعِ أَشْهَبَ: إِذَا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْكَعَ أَوْ يَسْجُدَ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ أَخِيهِ فَلَا يَرْكَبُ لِحَجٍّ وَلَا لِعُمْرَةٍ أَيَرْكَبُ حَيْثُ لَا يُصَلِّي وَيْلٌ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، وَيُكْرَهُ إِذَا كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَّا جَالِسًا وَقَالَ فِي الْمَبْسُوطِ: مَنْ أَرَادَ رُكُوبَ الْبَحْرِ وَقْتَ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَأَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ قَبْلَ أَنْ يَرْكَبَ قَائِمًا لِمَا يَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ الْبَحْرِ وَأَنَّهُ لَا يُصَلِّي فِيهِ قَائِمًا قَالَ: يَجْمَعُهُمَا فِي الْبَرِّ قَائِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَهَا فِي وَقْتِهَا قَاعِدًا، وَقَالَ فِي الْعُتْبِيَّةِ: إِذَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْقِيَامِ قَعَدُوا وَلَا بَأْسَ أَنْ يَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ وَيُحْمَلُ قَوْلُهُ فِي هَذَيْنِ السُّؤَالَيْنِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ مَنْ رَكِبَ أَوْ عَزَمَ عَلَى رُكُوبِهِ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْتَارُهُ لَهُمْ مِنْ الرُّكُوبِ أَوْ التَّرْكِ انْتَهَى.

وَمَا ذَكَرَهُ عَنْ الْمَبْسُوطِ يُوَافِقُ مَا قَالَهُ: إِنَّهُ يَكْرَهُ رُكُوبَهُ لِمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ إِلَّا جَالِسًا وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْ الْعُتْبِيَّةِ فَيُمْكِنُ أَنَّهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ وَالنُّزُولِ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى الْحُكْمِ ابْتِدَاءً وَهُوَ فِي رَسْمِ سِلْعَةٍ سَمَّاهَا مِنْ سَمَاعِ ابْنِ الْقَاسِمِ مِنْ كِتَابِ الصَّلَاةِ وَنَصُّهُ: وَسُئِلَ عَنْ الصَّلَاةِ فِي السَّفِينَةِ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا قَالَ: بَلْ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا فَقُعُودًا قِيلَ: وَيَؤُمُّهُمْ قُعُودًا ؟ قَالَ نَعَمْ إِذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَقُومُوا، قَالَ الْقَاضِي وَهُوَ كَمَا قَالَهُ لِأَنَّ الْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فُرُوضِهَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُصَلِّيَ جَالِسًا مَنْ يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا كَانُوا كَالْمَرْضَى وَجَازَ أَنْ يَؤُمَّهُمْ الْإِمَامُ قُعُودًا وَهُوَ قَاعِدٌ انْتَهَى. انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل (٧/ ١٤٤)، والتاج والإكليل لمختصر خليل (٣/ ٣٢٧).

والثاني: إذا كان مخوفًا بارتجاجه من الغَرق لا يجوز ركوبه؛ لأنه من الإلقاء للتهلكة، قالوا ذلك من دخول الشمس العقرب إلى آخر الشتاء.

الثالث: إذا خِيف الأسر واستهلاك العدو في النفس أو المال لا يجوز ركوبه بخلاف ما إذا كان معهم أمنًا، والحكم للمسلمين لقوة أيديهم، وأخذ رهانهم، وما في معنى ذلك.

الرابع: إذا أدَّى ركوبه للدخول تحت أحكامهم، والتذلل لهم ومشاهده منكراتهم مع الأمن علي النفس والمال بالاستيثاق منهم، وهذه حالة المسلمين اليوم في الركوب مع أهل الطرائد ونحوهم، وقد أجراها بعض الشيوخ على مسألة التجارة لأرض العدو.

ومشهور المذهب فيها: الكراهة وهي من قبيل الجائز، وعليه يفهم ركوب أئمة العلماء والصلحاء معهم في ذلك، وكأنهم استحبوا الكراهة في مقابلة تحصيل الواجب الذي هو الحج، وما في معناه، وليس ركوب الشيخ أبي الحسن - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- مع النصراني من هذا القبيل؛ لأن هذا البحر الحكم فيه للإسلام، والنصراني من أهل الحرب، وإنما يدخله خائفًا، أو مؤمنًا لا قائمًا بذاته فهو خديم فيه، وقد أجاز مالك اكتراء جمال النصراني لكونه أرفق في الكراء والمسلم الذي لا يصلي أخف أمرًا منه، فهو أحرى بالجواز، وفيه نظر!.

الخامس: إذا خِيف بركوبه عورة كركوب المرأة في مركب صغير لا تقع لها فيه ستره فقد منع مالك ذلك حتى في حجها على أن تختص بموضع في مركب كبير على المشهور، فأما ذكر الخواص التي في البحر والجارية في ذلك يطول ذكرها، ولا نقدر على القيام بها، وحسبك أنه كله رحمة وبركة ونجاة وهلكة، فظهره مجاز للفلك، وقعره لآلئ

للملك، وموجه مفتاح للهلك، وماؤه طهور وميتته حلال. وأخرج الدَّارقطني: «أنه طهور الملائكة إذا عرجوا وإذا نزلوا»[(١)].

وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: «صف لي البحر، فقال: يا أمير المؤمنين، مخلوق عظيم يركبه خلق صغير وضعيف، دود على عود، فقال عمر: لا جرم لولا الحج والجهاد لضربت من يركبه بالدرة، ثم منع ركوبه» ورجع عن ذلك بعد مدة، وكذلك وقع لعثمان ومعاوية - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - ثم استقرَّ الإجماع على جوازه بشرطه، وبالله سبحانه التوفيق.

وقد آن أن نقبض العنان، ونرجع إلى المقصود، وهو الكلام على ألفاظ الحزب المذكور حسبما يتيسر ويقرب تناوله، ومن الله الفتح والتيسير وهو حسبنا ونعم الوكيل فنقول:

(١) في السنن (١/ ١٥٣) ونصه: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «ثم البحر ماء طهور للملائكة إذا نزلوا، توضؤوا وإذا صعدوا توضؤوا».

[شرح بعض ألفاظ الحزب]

قال الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: [(اللهم) يَا الله يا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ أَنْتَ رَبِّي وَعِلمُكَ حَسْبِي، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي وَنِعمَ الحَسْبُ حَسبِي، تَنصرُ مَن تَشَاءُ وَأَنْتَ العَزِيز الرَّحِيم].

قلت: افتتحه بهذه الجملة؛ لأنها تشعر بعظمة الربوبية، وذلة العبودية والاكتفاء بعلمه والرجوع إليه لكل حال، والتفويض له في الأمور موافقًا العرض، أو مخالفًا له مع الثناء عليه بكمال الوصف الذاتي أولاً والعقل آخرًا؛ لأن كمال التوجه إنما يكون بذلك فكل توجه لا يشعر صاحبه بعظمة الربوبية وذلة العبودية فيه فهو تلاعب ونحوه، وبذلك وقع الجواب عن عدم انتفاع كثير من الناس بأدعية وأذكار صحيحة الوعد بالإجابة مجربة عند أهل الصدق والإخلاص والاكتفاء بعلمه تعالى مع حسن الظن به، والتفويض إليه في الإجابة، والعطاء من آداب الدعاء علو شأنه، حتى قال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوي: – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– «من لم يكن في دعائه تاركًا لاختياره راضيًا لاختيار الحق تعالى له فهو مستدرج، وهو ضمن ما قيل له: «اقض حاجته فإني أكره أن أسمع صوته»، فإن كان مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه فإن كان مجابًا، وإن لم يعط والأعمال بخواتمها، ثم الذي تضمنته هذه الجملة من الأشياء عشرة: سبعة ظاهرة، وثلاثة باطن:

فأما السبعة: اسمه العلي، العظيم، الحليم، العليم، الرب، العزيز، الرحيم.

وأما الثلاثة: فاسمه الكافي، النصير، الفعال لما يريد.

(يا علي): هو الذي يصغ عند ذكر وصفه كل شيء[(١)].

(والعظيم): هو الذي لا نسبة لأحد معه في علو شأنه، وجلالة قدره ذاتًا، وصفاتًا، وأسماءً وأفعالاً ثم هو العلي في عظمته فوق كل عظمه لغيره، والعظيم في علو لا يليق بذاته، فهما اسمان متداخلان يسري كلا منها في الآخر بارتفاع الوصف إلى غاية ما يراد به[(٢)].

(والحليم): هو الذي لا يدعوه الغضب لتعجيل العقوبة على من عصاه فيمل

---

(١) (العلي): هو المتعالي عن الأنداد والأضداد والأشباه، وقيل: هو البالغ في علو الرتبة، وقيل: هو المتعالي في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات ولا كفعله فعل.

والتقرُّب بهذا الاسم تعلُّقًا أن ترفع همتك إليه، وتجعل اختيارك وفقًا عليه، ولا تختار من الدنيا والآخرة سواه، ولا تعتمد بها عليه، وتخلقًا أن تجنح إلى معالي الأمور، وتتباعد عن سفسافها في الحديث: «إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها»، وعن سيدنا علي - كرَّم الله وجهه: «علو الهمة من الإيمان».

وخاصيته: الرفع عن أسافل الأمور إلى معاليه، فيكتب ويعلق على الصغير فيبلغ وعلى الغريب، فيجمع شمله، وعلى الفقير فيجد غنى بفضل الله تعالى.

(٢) (العظيم): أي ذو العلوِّ، والجدِّ، والرُّقية، والقدرة المستغنى عن الأنصار الأموات المتقدِّس عن الزمان والمكان، وقيل: هو الذي يصفر عند ذكر وضعه كل شيء سواه، فهو العظيم على الإطلاق ظاهرًا وباطنًا، قال بعضهم: والله تعالى أحق به لاختصاص اسم المتكبر بمعنى الظهور، ولذلك كانت العظمة معتبرة بالإزار فيما ورد في قوله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري».

وكلا الاسمين ظاهر الاختصاص بما يرجع لأمر الله، فلذلك يقصم مَن نازع في مضمون أحدهما انتهى.

والتَّقرُّب بهذا الاسم تعلُّقا من جهة التذلل والافتقار، وتخلُّقا من جهة التعاظم من كل وصف ذميم، بكل وجهٍ.

وخاصية: وجود العز والشفاء من كل مؤلم المكثر من ذكره، وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عظيم الثناء الفاخر والعزِّ والمجد والكبرياء، فلا يزول عزَّه، يقرَّه الخائف من السلطان اثنتي عشرة مرة، وينفث على نفسه فإنه يأمن، وكذلك القَانط من الذنوب فيجد لطفًا.

العاصي، وإن كان لا يمهله ثم ترك العقوبة فعفا، فهو عفو رحيم[1].

(والعليم)[2]: المحيط علمه بالكائنات وغيرها إحاطة لا يدخلها قصور ولا شرط فهو يعلم ذنوب عباده، ولا يعاجلهم بالعقوبة حلمًا منه، وذلك من عظمته، وعلو شأنه الذي ظهر به البحر وجرى به التصرف فيه فكان هذا من باب التعويض بذكر الأسماء المناسبة للحالة والحاجة؛ لأن البحر مخلوق عظيم على في شأنه كما يليق به، وقد ظهر فيه من عظمة الله وعلو شأنه ما ذللـه للخلق وسخره لهم حتى أكلوا منه لحمًا طريًا، واستخرجوا منه حلية يلبسونها، وأجرى فيه الفلك لما شاء من قدرته فلم يبق لعلوه، ولا لعظمته نسبة إلا الدلالة على عظمة مسخرة، وعلو شأنه ثم يركبه العاصي والمطيع فلم يسلطه عليه حلمًا منه، ولطفًا مع علمه بجرمهم فيه بل إذا تأملت وجدت القائمين فيه، والمتردين له أشد الناس عصيانًا، وأكثرهم تمردًا ليتحقق أن السير فيه بفضل الله ورحمته؛ لأن الأسباب لا أثر لها في فعله، فالبحر دالٌّ على عظمة الله بذاته وصفاته، وعلى حلمه بأفعال الخلق فيه، وكل ذلك من علو شأنه تعالى في ذاته، وصفاته، وأفعاله

---

(١) (الحليم): هو الذي يسامح الجاني، ويمهله مع استحقاقه العقوبة، والمؤاخذة بالذنب؛ فهو الذي لا يستفزّه غضب، ولا يُعجّل بالعقوبة على مَن عصاه، وقال بعضهم: هو من الحلم: أي رفع العقوبة في موضع استحقاقها. والتقرُّب بهذا الاسم تعلُّقًا أن يشكر منته في حلمه، ويرجع إليه قبل ظهور أمره في الدار الآخرة بإنفاذ حكمه، وتخلُّقًا أن يصفح عن الجناة، ويسامحهم فيما يعاملونه به من السيئات؛ بل يقابلهم بالإحسان تحقيقًا للحلم، والفقرات. وخاصيته: ثبوت الرئاسة، ووجود الراحة، فإذا اتخذه الرئيس ذكرًا؛ كان له ذلك، ومَن كتبه في قرطاس، وغسله بماء، ومسح به آلته أو حرفته؛ ظهرت فيها البركة، وإن كانت سفينة أمنت من الغرق، ودابة أمنت من كل شيء.

(٢) (العليم): بمعنى العالم، والعالم مَن قام به العلم وهو صفة معنى متعلقها المعلومات واجبة وجائزة ومستحيلة، فهو تعالى يعلم ذاته وصفاته وأسماءه ويعلم ما كان وما يكون من الجائزات، وإنه إذا كان كيف يكون ويعلم المستحيل، كشريكه من حيث استحالته وانتفاء كونه، وما يترتب عليه، إذ لو كان لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]. والتقرُّب به من جهة التعلُّق في الاكتفاء بعلمه دينًا ودنيا، ومن جهة التخلُّق تحصيل العلم لإفادته للمحتاجين إليه كما هو شأنه سبحانه وتعالى في عباده.

وخاصيته: تحصيل العلم والمعرفة، فمن لازمه عَرف الله حق معرفته على الوجه الذي يليق به.

إذ لا أعظم من حلم مع علم، ولا أقوى من عظمة في علو شأن.

وقد قيل: إن هذه الجملة هو اسم الله الأعظم ورجَّحه ابن عبد البر، وهو مقتضى الأصل في الأولين، ومرجع الفروع في الآخرين.

قيل لبعض الناس في المنام: «كل اسم سرى معناه في الأسماء فهو الأعظم، وذلك في الأسماء الحسنى سبعة أو ثمانية: منها العظيم، ليس منها الرحمن».

قلت: وعلى ذلك دلت الأحاديث إذ لا يوجد ما جاء فيه أنه الاسم الأعظم إلا كذلك مع اختلاف الألفاظ، وتعود الأوصاف مرة بالبسط والجمع، ومرة بالإفراد والتركيب، فافهم.

فاسمه تعالى العظيم سار في اسمه العليم والحليم؛ لأنه عظيم في حلمه وعلمه، عظيم في ذلك كله؛ ولأجل سريانهما في كل معنى تعلق بالذات، والصفات، والأفعال جعلا خاتمة آية الكرسي الذي افتتاحها لأسماء الذات، ثم جوامع الصفات، ثم ما يجري في الأفعال افتتاحها لأسماء الذات، ثم جوامع الصفات، ثم ما يجري في الأفعال وتجري به فافهم(1).

---

(١) (العظيم): أي ذو العلوّ، والجدّ، والرُّقية، والقدرة المستغنى عن الأنصار الأموات المتقدّس عن الزمان والمكان، وقيل: هو الذي يصفر عند ذكر وضعه كل شيء سواه، فهو العظيم على الإطلاق ظاهرًا وباطنًا. قال بعضهم: والله تعالى أحق به لاختصاص اسم المتكبر بمعنى الظهور، ولذلك كانت العظمة معتبرة بالإزار فيما ورد في قوله تعالى كما في الحديث: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري». وكلا الاسمين ظاهر الاختصاص بما يرجع لأمر الله؛ فلذلك يقصم مَن نازع في مضمون أحدهما انتهى.

والتَّقرُّب بهذا الاسم: تعلُّقا من جهة التذلل والافتقار، وتخلُّقا من جهة التعاظم من كل وصف ذميم، بكل وجهٍ وخاصية وجود العز والشفاء من كل مؤلم المكثر من ذكره.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عظيم الثناء الفاخر والعزِّ والمجد والكبرياء، فلا يزول عزَّه.

يقرَّه الخائف من السلطان اثني تيعشرة مرة، وينفث على نفسه فإنه يأمن. [شرح ورد الستار للشرقاوي ص ١١٩] بتحقيقنا.

ثم من علم أنه العلي العظيم لزم التعظيم والإجلال قلبه وانصبغت به روحه، وانبسط به سره فلم يبقى له عن نفسه إخبار، ولا يقرَّ له مع غير الله - جلَّ جلاله - قرار، ومن علم أنه عليم حليم اكتفى به راجيًا إحسانه، ومحسنه الظن به في جميع الأحوال فلم يبقى للبحر ولا لغيره في عينه نسبة شغلاً بمولاه، وفناء فيه دون ما سواه فيقول بكل جارحة فيه: «أنت ربي الذي لا رب لي غيره، ولا يصح أن يكون لي ربًّا غيره لكمال وصفه في عظمته، وعلو شأنه فلا أبالي بغيره، ولا أتوجه لسواه ولا أرجو النفع، وأخشى الضر من غيره».

(والربُّ): المالك الذي يربي عباده بإحسانه، ولا مالك غيره، ولا مدبر سواه فكلمة الشيخ هذه تبري من التعلق بما سوى الله جلَّ جلاله[1].

(وقوله: وعلمك حسبي) اكتفاءً بعلم الله تعالى، ومن لازم ذلك المعنى بذاته، والنظر لما عنده بلا سبب من نفسه، ومعنى حسبي: يكفيني فيما أنا فيه، وهو في هذا الكلام متأسيًا بخليل الله إبراهيم- عَلَيْهِ السَّلَامُ- حين زج به في المنجنيق فتلقاه جبريل قائلاً: «ألك حاجة»، قال: «أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى»، قال: «إذًا فاسأله»، فقال: «حسبي من سؤالي علمه بحالي» وهو طريق العارفين عند تعذر الأسباب أن الرجوع للعلم بالاستسلام فترك الطلب بخلاف حال قبول المحل للأسباب، فإن العمل بها

(١) الرب في الأصل بمعنى: التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل. وقيل: هو نعت من ربى يربه، فهو رب، ثم سمى به المالك؛ لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه، والعالم كل ما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مولى واجب لذاته تدل على وجوده، وإنما جمعه؛ ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة، وغلب العقلاء منهم بجمعه بالياء والنون، وقيل غير ذلك. [الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية للعياشي ص ٩٨] بتحقيقنا.

مطلوب، واعتبر هذا بأمر أم موسى بإلقائه في البحر، وإجابة الملائكة للوط – عَلَيْهِ السَّلَامُ- بقولها: «أنه جاء أمر ربك» عند قوله لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠]، فهو – صلوات الله عليه – أراد مقابلتهم بالأسباب لوجودها فأجيب بنفوذ الأمر وأنه لا محل لها؛ ولذلك أشار النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – بقوله: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد»[١] على معنى أن ترحمه عليه أن ما كان لظنه أن الأسباب بقي لها محل لا يفهمه من لا حقيقة عنده مما يؤدي إلى الضلال ونحوه؛ فافهم.

واعلم أن التوجهات عند الاحتياج ثلاثة:

أولها: بالاستسلام وذلك عند تعذر الأسباب كما تقدم.

الثاني: لتوجه بالسؤال والطلب، وذلك عند انشراح الوقت وجريانه بالمعتاد، وموقف تذكير النفس بالافتقار حين غفلتها عن التوحيد والاضطرار، أو يكون البساط تعليم أو تذكير ونحوه.

الثالث: التوجه بالتعريض وذلك حين يغلب حسن الظن، والاكتفاء بالعلم، وبتحقق التوحيد والاستغلال بالذكر كقول إبراهيم- عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢].

وقول موسى – عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

وقول نبينا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لا غنى لي عن عافيتك، وعافيتك

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢٣٩).

أوسع»(١) إلى غير ذلك، قالوا: وهو جمع لسكوت الساكت، وسؤال وحقيقته ثناء في محل السؤال، وذكر الحاجة دون طلب التحصيل باللفظ إن كان مقصودًا له كما قيل:

أأذكـرُ حـاجتي أمْ قـد كَفَـاني ... حَيـاؤكَ أن شِـيمتكَ الحَيـاءُ

إذَا أَثنـى عَلَيْـكَ المَـرء يَومًـا ... كَفَـاك مـنْ تعرضـه الثّنـاءُ

ولما كان البحر لا مدخل للأسباب في تسخيره حسن التفويض في شأنه، ولما كان ما تداخله الأسباب في التصرف فيه حسن السؤال في ذلك؛ لذلك جمع الشيخ بينهما فانظر ذلك.

وقوله: (فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي) أتى به للإشعار بعظيم الثناء حتى تسكن النفس له تعالى فيما تريد طلبه، والتوجه فيه لشعورها بالعظمة فيما هي به، وإلا فهي جملة متحققة؛ إذ هو نعم المولى ونعم النصير.

ومن كان كذلك لم يخذل من تعلق به ولا يهمل من استند عليه، ولا يترك من توكل عليه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه، وواقيه، وناصره.

وقد أخبر الله - جلَّ جلاله - عن قوم: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٧٣، ١٧٤]، فجعل خاصية هذا الذكر لمن قاله بإخلاص؛ لأن في ذلك جريان النعمة والفضل وصرف السوء وحصول التوفيق، ثم عرض من الزيادة على ذلك؛ إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤] أي: لمن ذكره.

وقد كان نقش خاتم مالك - رحمه الله تعالى - ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٢) [آل عمران:١٧٣]. فقيل له في ذلك فأجاب بما ذكرناه فافهم.

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٦٤)، بنحوه.

(٢) (حسبنا الله) أي: اكتفينا به، فلا نطلب غيره، ولا نطلب من غيره؛ لأنه لا إله إلا هو، انتهى. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، قالها إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حين

وقوله: (تَنصُرُ مَن تَشَاءُ) هو موقف التفويض بالرجوع إلى أنه يفعل من يشاء فلا ينازع في حكمه، ولا يكون إلا ما يزيده؛ لأنه (العَزِيز) أي: الغالب الذي لا يغلب، والقادر الذي لا يرد أمره فلا يسعنا إلا الاستسلام له(١).

(الرَّحيم): الذي يرحم عباده بإيصال إمداده من نصر غيره، فظهور العزة في المنصور عليه وظهور الرحمة في المنصورين فرحم هؤلاء بعين ما به نصر هؤلاء يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء وإليه تقلبون(٢).

وبالجملة: فالشيخ قد أتى في هذه الجملة بجوامع التوحيد، وينابيع الإيمان وخالص الحقيقة على تعظيم الربوبية وافتقار العبودية، وبذلك افتتح حزبه الكبير إذ جعل طالعته قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام:٥٤]، فشعر بإشعاع الرحمة في عين الجلال وبالجلال الواسع في عين الرحمة، ثم سأل مولاه العصمة التي هي منع الوصول إلى الذنب بيد القدرة على وجه لا يمكن تخلفه للإجابة من الله جلَّ جلاله، وإن كان جائزًا في الأصل فقال – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ:

ألقي في النار، وقالها محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وعن أبي سعيد – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –، فقال لهم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». وفي مسند الفردوس حديث شداد بن أوس موقوفًا: «حسبنا الله ونعم الوكيل، أمان كل خائف».وعن أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- مرفوعًا: «إذا وقعتم في أمر عظيم، فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل».

(١) أي: الرفيع، وقيل: النفيس، وقيل: العديم النظير، وقيل: القاهر لجميع الممكنات، وفسره إمام الحرمين بالغالب. وفي الحديث: «أنا العزيز، فمن أراد عز الدارين، فليطع العزيز»

(٢) من الرحمة أيضًا، قيل: وهو أبلغ من الذي قبله في الصيغة، وسرُّ ذلك أن مقتضاه الإمداد، وهو بعد الإيجاد فله متعلقان، في الأثر، ووجهان في المعنى، ولمَّا كانت صورة الإمداد يظهر أثرها من الخلق؛ جاز إطلاق هذا الاسم عليهم على وجه يليق بهم من الاختصاص، كرحيم القلب لا على الإطلاق.

[نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ فِي الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالكَلِمَاتِ، وَالإِرَادَاتِ، وَالخَطَرَاتِ، مِن الشُكُوكِ وَالظنُونِ وَالأَوْهَامِ السَاتِرَةِ للقُلُوبِ عَن مُطَالَعَةِ الغُيُوبِ، فقد ابتَلى الله المُؤمنين وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَديدًا ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢)].

قلت: سأل العصمة[1] من موجبات الحجاب بأي وجه كانت؛ لأن الحجاب أصل كل بلية كما أن العصمة رأس كل وقاية حتى لقد قيل: إنها الامتناع من الذنب مع استحالة الوقوع فيه أي: امتناعه تحقيقًا لإيجاب ذلك من الله لا أنه مستحيل لذاته، ثم العصمة تقع في نفس الأمر لمن خصه الله تعالى بها من نبي أو ولي أو غيرهما عمومًا إلا أنها واجبة للأنبياء، فلا يصح تخلفها عنهم، ولا دعواها من غيرهم لجواز النقيض عليهم، وإنما يصح وصف غيرها بالحفظ الذي هو انتفاء الذنب مع إمكان الوقوع فيه فالأنبياء معصومون، والأولياء محفوظون في حكم الظاهر، وقد يكون الحفظ من العصمة في علم الله - جلَّ جلاله - ولكن لا سبيل لنا إليه، وإن كنا نطلب وجوده وتحقق إمكانه، والله أعلم.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ﴾ [آل عمران :١٠١] الآية.

وقال نوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لابنه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤٣]، فقوله: (نسألك العِصمة) يريد نطلب منك أن تمنعنا من الذنوب بالستر عنها حتى لا

(١) اعلم أن من جملة إشارات العصمة، ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢] ويُعني بالعصمة ما يفضي إليه ذلك التجلي من نفي الرذائل وإثبات الحمائد خلقًا وعملاً، وأما الواجبات والمحرمات القطعية فحتمًا، وأما غيرها فاستحسانًا، وسر العصمة ما كَمُنَ في أن الأعمال والأخلاق من تماثيل الوجوه المنطوية تحت إجمال العين الثابتة تظهر بترجيح المرجحات.

نعرف طريقها، ولا تخطر لنا على بال، ولا تنزل بنا في حال من الأحوال، فتعصمنا في «الحركات» التي هي التنقلات يمينًا، وشمالاً، وخلفًا وأمامًا.

«والسكنات» التي هي الثبات في محل واحد دون تقلب، وجمعها كالحركات اعتبارًا بتعددها في الحالات، «والكلمات» التي هي حركات اللسان والقلب بالنطق بالحروف والإصرارات «والإرادات» التي هي: الميل للأفعال والأقوال بحركات القلب في الاختيار، «والخطرات» التي هي حركات الضمائر في التقلبات أولها الهاجس، وهو غير مؤاخذ به، وآخرها العزم والصحيح المؤاخذة به، وفيما بينهما خلاف.

وهذه الخمس هي مجاري الحسنات والسيئات، والذي نطلب العصمة منه فيها إنما هو الظنون، والشكوك، والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب غيوب الأنوار العرفانية والأسرار الربانية، والحقائق الإيمانية التي من حجب عنها وقع في الهموم والغموم.

كما أشار إليه ابن عطاء الله – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – بقوله: «**ما تَجِدُهُ القلوبُ من الهمومِ والأحزانِ؛ فلأجلِ ما منعَتْهُ من وُجودِ العِيَانِ**»(١).

---

(١) قال الشيخ الشرقاوي – رضي الله عنه – أي: «ما تجده القلوب من الهموم والأحزان» الدنيوية، «فلأجل ما منعت من وجود العيان» أي: معاينة الرب ومشاهدته بعين البصيرة، والألم يحصل عندها هم ولا حزن على فوات شيء من الدنيا فوجد أنهما من نتائج رويته النفس واعتباره وبقاء حظها، فلو غاب الشخص عن رؤية نفسه بمعاينة سيده لكان دائم الفرح والسرور كما قال تعالى: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠].فمن استنار قلبه بنور المعرفة لا يكون عنده غم أبدًا، لكن في وجود الهموم والأحزان لمن لم يبلغ هذا المقام إذا لم يقدر على دفعها عنه فوائد جلية؛ لأنها توجب خمود النفس وصفاء القلب وزوال الأشر والبطر والفرح بالدنيا والهم ما يتعلق بما يكون في المستقبل والحزن لما يتعلق بما يكون في الماضي، ويصح أن يكون هذا شاملًا للأمور الأخروية أيضًا، فأهل النار لا يحصل للواحد منهم هم ولا حزن إلا إذا شاهد مولاه؛ فإن شاهده لم يحصل عنده ذلك بل يكون العذاب في حقه عذوبة. [المنح القدوسية ص ٣٢٨].

ثم قوله: (السَّاترة .. إلخ)، وصفٌ للظنون والشكوك والأوهام، فهي تارة تكون ساترة، وقد استعاذ من هذه لاعتراضها وترك الأخرى؛ لأنها موافقة للحق أو غير ضارة فيه، وقد ذكر في هذه الجملة جميع الحركات النفسية، وما فيها من النقص فهو قد أتى فيها بتعريف النفس ونقصها كما أتى في التي قبلها بذكر الرب تعالى بكماله، وهذا هو العلم النافع والحقيقة التامة. وقد سُئل الإمام الجنيد – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– عن العلم النافع! فقال: «هو أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك»[1].

هذا ما عليه مَدار كلام الشيخ هنا فتأمله راشدًا، وبالله تعالى التوفيق.

ثم الظنون، والشكوك، والأوهام جمع: ظن، وشك، ووهم.

فالظن: ما ترجح من طرفي الممكن، والشك: ما استوى في الرجحية والمرجوحية من الممكن، والوهم: المرجوح من الطرفين، وكلها مبادٍ في الخير والشر، فيطلب صرفها لئلا تتمكن، فلا يصح نفيها كما قيل: ادفع رديء الخواطر قبل أن يسري الهم لئلا يعييك.

وقيل أيضًا: «أول الذنب الخطرة كما أن أول السيل القطرة».

وقد قال الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»[2]، وإنما ينشأ الظن الخبيث من القلب الخبيث لا في جانب الحق ولا في جانب الخلق كما قيل:

إذا سَاء قلبُ المرء سَاءتْ ظنونُه ... وَصدقَ مَا يقتاده مِن تَوهمِ
وَعَادَى مُحِبيهِ بِقَولِ عَدوهِ ... وَأصبحَ فِي ليلٍ مِنَ الشَّكِ مُظْلمِ

(١) النص بنحوه في كتابنا: الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص٣٠٧).
(٢) رواه البخاري (٣/ ١٠٠٩)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥).

وقد رُوي عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «**خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله**»(١).

«**وخصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله**»(٢).

وقال الشيخ أبو الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «قرأت ليلة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] فقيل لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك، يذكرك أفعاله السيئة، وينسيك أفعاله الحسنة، ويقلل عندك ذات اليمين، ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله إلى سوء الظن بالله» فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد، والزهاد، وأهل الطاعة، والسداد.

نعم! العافية الكاملة هي سكون القلب إلى الله تعالى باليقين الموجب للرضا، والتسليم، والبلية كلها في الشك والاضطراب والتردد بين الخواطر المتزاحمة التي لا يهنأ لصاحبها عيش، ولا يقر لها قرار، ومظاهر كل منها إنما هي البلايا الظاهرة، والمحن العارضة، وقد أجراها تعالى لعباده المؤمنين ليميز الخبيث من الطيب، فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويظهر على المنافقين كفرًا وطغيانًا، ومن مقتضى ذلك أن يرجع المؤمنون من الله –جلَّ جلاله– بالرجاء والالتجاء، وتصديق وعد الله –جَلَّ جلاله– في الامتحان والابتلاء، وقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

---

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (٢/ ١٩٩)، بنحوه.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١٩٧٨) بنحوه، وذكره المصنف في النصيحة الكافية (ص١٥)، والشيخ ابن عجيبة في إيقاظ الهمم (ص٨٢).

وقال عزَّ من قائل جل جلاله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال عزَّ وعلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة:١٦].

وقال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١،٢]

وإلى هذا المعنى نحا الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – حيث قال: «فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

قلت: أتى بهذه الجملة كالمعتذر عن سؤال العصمة، وتعريضًا بما هو فيه من الشدة التي تحرك أثر النفس المثير لظهور المرض الكائن في القلب المؤدي إلى سوء الظن بالله، كما وقع للمنافقين في شأن الخندق إذ جاءهم العدو من فوقهم، ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظن من في قلبه شيء بالله الظنون هنالك أُبتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزالاً شديدًا، وظهر ما في قلوب المنافقين على ألسنتهم بقولهم: ﴿مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

فكأن الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- يقول: «إنما سألت العصمة خوفًا من الزيغ عند الابتلاء الذي لابد منه للمؤمنين حتى يميز الخبيث من الطيب؛ لأنه لا عاصم من الله إلا من رحم، وذلك من الشفقة على الإيمان الذي هو رأس المال وأساس الأعمال، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]».

وقد اختلفت النُّسخ في الكلمة، فمنهم من أثبتها على وجه التلاوة، ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الأنفال:٤٩]، وهذا لاعتراض عليها.

ومنهم من أثبتها بـ«لام التعليل» على المعنى المشار إليه من تعليل الطلب والابتلاء بظهور الابتلاء، فلا يكون على وجه التلاوة بل إظهار للمعنى المقصود من ذكر ذلك في معرض المنة، وهذا هو الصحيح على ما رأيته بخط سيدي أبي عبد الله محمد بن عباد رحمة الله عليه.

ثم قال الشيخ -رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنهُ: [فَثَبِّتنَا وَانصرنَا وَسَخِّر لنَا هَذَا البَحرَ كما سَخَّرتَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ، لمحمدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَسَخرتَ البَحرَ لموسَى- عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وَسَخرتَ النَّار لإبراهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَسَخَّرت الجِبَال وَالحَدِيدَ لِدَاودَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَسَخَّرتَ الرِّيح وَالشَّياطِين وَالإِنْس والجِنَّ لسُلَيمانَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ].

قلت: هذا من ردِّ الأعجاز على الصدور، وترتيب المقاصد على المقدمات، فالتقدير: فثبتنا في محل الزلزال، وهو موقف الشدائد والأهوال، وانصرنا على أعدائنا من المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، وسخر لنا هذا البحر الذي نحن فيه معرضون لذلك تسخيرًا ينفي كل ما نخشى، ويأتي بكل ما نطلب ونرتجي، وقد يقال: فثبتنا على الإيمان، وانصرنا باليقين، وسخر لنا هذا البحر في أمر الدنيا والدين حتى نسلم من الشكوك، والظنون، والأوهام ونتأيد بحقائق الإيمان والإسلام؛ إذ من علامة التأييد حفظ التوحيد في أوقات المحن.

كما قال أبو علي الدَّقاق -رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنهُ-: والتشبيه في التخيير من جهة التيسير والكراهة لا من جهة المقابلة والمناظرة؛ لأن ذلك التسخير كان بكرامة الله - جَلَّ جلاله، ومع إحسان الله تعالى فكان مقويًّا للإيمان كما أنه مظهر للإحسان فسخرت

البحر لموسى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – في نجاته أولاً حين ألقته أمه فيه، ثم سخرته له بنجاته مع إهلاك مكذبه، وغرق عدوه، وسخرت النار لإبراهيم – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بجعلها عليه بردًا وسلامًا وسخرت لداود – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – الجبال بأن تسبح معه بالعشي والإشراق، وتأوب معه إلى ربها، وسخرت له – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – الحديد بتليينه له، ولمن حضره ممن يعينه في أعمال الدروع حتى صار كالعجين في أيديهم، وسخرت الريح لسليمان – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – غدوها شهر، ورواحها شهر، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك، بل يعملون له ما يشاء من محاريب، وتماثيل، وجفان كالجواب، وقدور راسيات كما أخبر الله – سبحانه وتعالى – عن ذلك، والشياطين نوع من الجن لم يعملوا خيرًا قط، ولا أهل له عكس الملك فذكر الشياطين قبل الجن من الخصوص قبل العموم، والله أعلم.

ثم قال الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ –: [وَسَخِّر لنَا كُل بَحرٍ هُو لَكَ فِي الأَرضِ وَالسَّماءِ، وَالمُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَبَحْرَ الدُّنيَا وَبحرَ الآخِرة، إِنَّك على كُل شَيءٍ قَديرٌ].

قلت: فسؤاله بتسخير كل بحر في الأرض والسماء من باب إظهار الفَاقة لكل شيء، وفي كل شيء، وعند كل شيء، ومع كل شيء، وفي ذلك تحقيق الافتقار إلى الله تعالى بكل حال.

كما قال القائل وأحسن:

كُـلي إليــكَ مَــع الأنفَــاسِ مُحتَــاجٌ   لَـو كَـانَ فِي مِفرَقِـي الإكليـلُ والتّـاجُ

ثم إن الملك عالم الشهادة والحس فهو ما شأنه أن يدرك بالحس، والوهم، والملكوت عالم الغيب والخفاء، وهو ما شأنه أن يدرك بالعقل والفهم.

وهذا تفصيل بعد إجمال، وإجمال به تفصيل يدل على تعظيم الربوبية وتحقيق العبودية، أو كأنه من باب إعظام المسألة لقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«إذا سألتم الله فأعظموا المسألة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء»(١)، و«قالوا: إذًا نُكثر يا رسول الله! قال: الله أكثر»(٢) بالثاء المثلثة أو «الله أكبر» بالموحدة التحتية.

وقد استعمل الشيخ في هذا الطلب من آداب الدعاء البداية بالآحاد قبل الأعداد، فقد قال الشيخ أبو القاسم القشيري - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: كثرة المسائل قفل على الباب، وإنما يسأل الخير شيئًا بعد شيء، كما اتفق لبعض الأمراء إذا قدم له بعض الأسرى فأمر بضرب أعناقهم فقال له رجل منهم: بالذي أعطاك ما أعطاك إلا ما مننت علينا بشربة ماء فأمر بهم فسقوا، فلما شربوا قال له: بالذي أعطاك ما أعطاك لا تقتل أضيافك فأمر بعتقهم، وقال: ارحم من يقنع منك في الحال بدمعة، ومعنى ذلك أن أدعية القرآن قليلة مرتبة في الغالب بل غاية ما ينتهي إليه عددها سبع دعوات في آخر سورة البقرة، وخمسة في آخر سورة آل عمران لم يرد أكثر منها في محل واحد، فاعرف ذلك!(٣).

ومن آدابه: ألا يسأل إلا لائقًا به في وقته، والمحتاج إليه قبل المستغني عنه كما

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٣).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٥٦٦)، بنحوه.

(٣) فائدة في قاعدة: قال الشيخ زَرُّوق -نفعنا الله به-: قاعدة النظر سابق القسمة، وواجب الحكمة هو القاضي بأن الدعاء عبودية اقترنت بسبب اقتران الصلاة بوقتها، وكذا الذكر المرتب لفائدة ونحوها؛ لأنك إن قلت: تذكر، فإنما يذكر من يجوز عليه الإغفال، وإن قلت: تنبه، فإنما يتنبه من يمكن منه الإهمال، وإن قلت: تسبب، تجعل حكم الأول أن يضاف إلى العلل، وقد جاء الأمر وترتيب الإجابة عليه، فصح أن يراعي من حيث الحكمة، وإذا صح بمفروغ منه كآية: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، و﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ عند من قال به، وهو دعاء الأبد، والله أعلم. وقال بعضهم: إن مقاصد الناس في مطالبهم، وإجابة دعائهم مختلفة، فالعامة مرادهم إجابة الدعاء لا غير، فهؤلاء عبيد أهوائهم، والخاصة قصدوا إظهار العبودية من الفقر والتعليق بالربوبية ولم ينسوا حظهم من فضل مولاهم، فهؤلاء عبيد الله إلا أن فيه شائبة خطأ وفيه هوى، وخاصة الخاصة أعرضوا عن المقصد الأول، واعتبروا الثاني لكن جنحوا إلى مقصد أكمل وذلك أنهم قصدوا بمطالبهم الجلوس على بساط العبودية، وقد استوى عندهم العطاء والمنع بما حصل لهم من المقصد الأكمل، ومع ذلك لم يفتهم من مقاصد من دونهم شيء، إذ لما توجهوا إلى الله تعالى، وأقبل عليهم كل شيء وانفصل لهم الوجود، فهم يتصرفون فيه تصرف المالك في ملكه. [الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية للعياشي ص ٣٨]، بتحقيقنا.

يفعل الشيخ - رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- وألا يسأل محالاً شرعًا، ولا عقلاً، ولا عادةً، وقد أورد القرافي على ذلك مسائل واعترضها منها قولهم: اغفر لجميع المسلمين والمؤمنين، وأجيب عن ذلك بأجوبة يطول ذكرها، وفي كلام الشيخ تعدد البحور واختلافها حسًّا ومعنى، وذلك واضح من مسمى البحر، فإنه عبارة عن كل أمر هائل محتوٍ على منافع ومضار غير محصورة حسًّا في الحسيات، ومعنى في المعنويات.

وقد جاء أن في السماء بحرًا، وتحت الأرض بحرًا، وأن بحرنا هذا برقة حوت، وأنه في نقرة إبهام ملك حكاه ابن الطلاع من غرائب الحديث، وزاد أن شعيبًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ- عاش ثلاثة آلاف سنة، وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب، وأن أبوي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أحياهما الله تعالى وآمنا به.

ثم قال الشيخ - رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: [وَسخِّر لنَا كُلَّ شَيْء يَا مَن بِيدِهِ مَلكُوت كُلِّ شَيْء].

والملك عالم الحس والشهادة، وهو ما شأنه أن يدرك بالحس، والوهم، والملكوت عالم الغيب، وهو ما شأنه أن يدرك بالعقل والفهم كما تقدم، وبحر الدنيا: يعني البحر الذي هو الدنيا، والبحر الذي هو الآخرة فإنهما هائلان مهيلان بل هما أعظم البحور، وفيهما معنوي وحسي، وكل ذلك لا يجري فيه إلا بتسخير الله تعالى فوجب أن يرجع منه إلى الله تعالى.

وإنما قال: (بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْء) ولم يذكر ملكه اكتفاء بالأقوى عن الأضعف فمن يملك ملكوته يملك ملكه ضرورة بخلاف العكس، والله أعلم.

ثم قال - رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: (كٓهيعٓص، كٓهيعٓص، كٓهيعٓص).

قلت: قد اختلف العلماء في هذه الفواتح المعجمة في أوائل السور، فقال قوم: هي

من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وحده[1].

(١) فائدة مهمة: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ أخبر الله سبحانه عن «كاف» كان وجوده الأزلي القدمي الأبدي كقوله: «كان الله»، والإشارة فيها إلى كون وجوده قبل كون الكون، وإشارة الحقيقة بالكاف خبر عن سرّ القدم قد صابها العارفين إلى غيوبيتهم في قفار الأولية والاستغراق في بحار القدمية ليعرفوا بالأولية الأولية، وأيضًا تجلى من كينونية الأحدية التي قبل كل علة على قلوب الموحدين لتغرقهم في بحار كبريائه، ويفنيهم في أنوار كنه ذاته فأشهدهم كائنة الذات والصفات وبصَّرهم بنور كبريائه، فأبصروا بعيون سره نورية مكحولة بنور كبريائه فأبصروا بها مشاهدة كنه ذاته، فذابوا فيه فأغرقتهم أنوار مشاهدة الكنه في بحر كمال الذات والصفات حتى لم يبقوا فيها، وأبقاهم نور كاف الكفاية، وبرز لهم سنا كاف حكمته الأزلية فعرفوا بها فناءهم في بقائه وبقاءهم ببقائه فطلبوا بقاء البقاء بلا فناء ليستوفوا في البقاء حظ مشاهدة البقاء، فانكشف لهم «كاف» بحار الكرم من صفات الكريم، فأوصلهم إلى بساط قربه فظهر من عين عيون الغيب نورها الهوية وغيبهم في غيب الغيب، وهداهم إلى قرب القرب، ثم هداهم إلى دنو الدنو، وهداهم إلى وصل الوصل ثم هداهم بنعت التعريف والمعرفة إلى مشاهدات الصفات، ثم إلى مشاهدات الذات فلما بهتوا في الغيب وتاهوا في وادي غيب الغيب، ولم يعرفوا من علم الربوبية ذرة ولم يروا من حقيقة الحقيقة شيئًا فأخذهم «يا» نداء القدم مع أصوات أجراس الوصلة فلما وصلوا وقفوا بنعت الجهل بالحقيقة على الحقيقة، فخرج أنوار عين علم القدم فعرفهم النعوت والأسامي. ثم أعلمهم الصفات والمعاني، ومكنهم بالحق في الحق مع الحق فطلبوا من الحق ما وجد الحق لهم من عظيم عطايا فيض جلاله وجماله فبان نور «صاد» صبح صدق ظهور أسرار الحق لهم فاكتسبوا بها، وصاروا عارفين بها صادقين في صدق رؤيتها في دعوى معرفتها ومحبتها، فما أشرنا بهذه المقالة فهو من رموز الحق في مفاتيح كنوز الذات والصفات وهي «الكاف والهاء والياء والعين والصاد»، ففي هذه الحروف الخمسة بيان أسرار القدم والبقاء والأزل والأبد وسر الصفات والذات ولا يعرفها إلا حبيب من حبيب الحبيب مع حبيب غائب في الحبيب حاضر مع الحبيب، سكران في مشاهدته، صاح في شهوده، فيستفيد معنى المعاني من هذه المباني.

قال إبراهيم بن شيبان ﷺ: أما «الكاف» فالله الكافي لخلقه، و«الهاء» فالله الهادي لخلقه، و«الياء» يد الله على خلقه بالعطف والرزق والعين، فالله عالم بما يصلحهم، و«الصاد» فالله صادق وعده، قيل: «الكاف» معناه الكافي للمسائلين حوائجهم، و«الهاء» هادي الضالين، و«العين» علم معاني إشارات المتعرضين في حوائجهم، و«الياء» النداء بهذه الدعوات، و«الصاد» صادق فيما وعد المؤمنين.

قال بعضهم: كريم بعفوه، هاد بجوده، عالم بمصالح عباده، صادق فيما أخبره.

قال الأستاذ: تعريف الأحباب بأسرار ومعالي، وقد وقع لي من قبيل لطائف الخطاب كافي هم

قال ابن السبكي: وقد يطلع الله - جَلَّ جلاله- عليه أصفياءه، وقيل: هي خواتم رب العالمين، ورموزه في كتابه.

وقيل: هي اسم الله الأعظم، وقيل: هي أعداد الملة المحمدية، وكم يدوم زمانها والذي يتحقق من ذلك أنها رموز لا يعلم حقيقتها غير واضعها، ولا يمنع اختلاف الفهم فيها من أن يكون لها معنى لا يدركه أحد من الخلق، ومن وجوه الفهم أنها تراجم على ما تضمنته السورة من المعاني.

وإلى هذا أشار الشيخ برمزها فيما يظهر، والله أعلم.

فإنها خمسة أحرف: كاف الكفاية، وهاء الهداية، وياء الولاية، وعين العناية، وصاد الصدق، وكل هذه الخمسة ظاهرة في كل قصة من هذه السورة.

ألا تراه كفى زكريا الموالي من ورائه، وهداه لدعائه، وشكره في حالة اعترافه بعجزه عما أولاه من إصلاح زوجه وإتيانه، ولدافع ضعفه فأظهر عنايته عليه، وعلى

- العارفين في طلبهم وصله، وهادي العارفين بنفسه إلى نفسه، ثم إلى ذخائر ما في كنوز قدمه من علومه المجهولة الغيبية ينادي بلابل بساتين ورد وصاله العارفين حتى يزيد رغبتهم في المسارعة بنعت شوق المحبة إلى جلال بقائه عليهم بألم فؤاد العارفين في داء فقدان قدمه، ووجدان وجود بقائه صادق بصدق مواعيد قرباته، ومداناته للعارفين، ورفع حجب الاحتشام عن قلوبهم حتى ينظروا إليه بنظر البسط والانبساط لا بنظر القبض والهيبة؛ لأن هناك مقام تمتعهم بجماله وجلاله وصحبته ووصاله، وهذه الحروف عيون رحمة ذاته، وكرم صفاته بأنبيائه وأوليائه؛ لذلك قال سبحانه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، وتخصيص زكريا برحمته وذكره أنه كان - عَلَيْهِ السَّلَامُ- تعرض بنعت الفناء والعجز بجلال جبروته وعظائم ملكوته ليهب له من يرث منه علوم الحقيقة، ولطائف حكم الإلهية، فأخبر سبحانه عن تعطفه به ورحمته الكافية عليه بأنه أجاب دعوته وأعطى مأموله، وجعله إمامًا للخاضعين، ومقتدى للسائلين.

قال الجريري: في هذه الحروف سبب رحمة ربك عبده زكريا.

قال ابن عطاء: ذكر اختصاص زكريا بالرحمة، وإن كانت رحمته قد وصلت إلى الأنبياء فخصَّ زكريا من بينهم باللطف رحمة، وهو أن وهب له يحيى الذي لم يعص ولم يهم بمعصية؛ فهذا هو محل اختصاصه، [عرائس البيان للبقلي روزبهان - بتحقيقنا].

زوجه وولده فيها تولاهم ثم فعل ذلك بمريم - عليها السلام، وولدها - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وولديه، وموسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وأخيه وما منَّ به على إدريس - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ونوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وغيرهم من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وتفصيل ذلك بطول ووجه الفهم بالبصائر أتم من الرسوم، وعلى هذا الوجه فذكر الشيخ لهما إنما هو تعويض لطلب الكفاية والهداية، والولاية، والعناية، وتحقيق الوعد في الإجابة في طي التسخير المذكور على وجه لا يحصره الحد، ولا يحصيه العد، ولا تمكن الإشارة إليه إلا بالرمز، وكون ذلك على الوجه الواقع لمن ذكر كما تقدم في قوله: كما سخرت البحر لموسى...إلخ.

وقد تكون حروفًا من أسماء هي اسمه الكافي، الهادي، الولي، العليم، الصادق، وعده إنما رمز في الوجهين لاتساع المعاني، وعظيم المباني، وقوة الأثر في النفس، واقتداء بالكتاب العزيز في رفع السوء، وتكرير الشيخ للكلمة ثلاثًا، إنما هو اعتبارًا بحصول المعنى المقصود في جسمه، وقلبه، وروحه، أو اعتبارًا بطلب ذلك في الظاهر والباطن، أو فيهما، أو اعتبارًا بالحال، والماضي والاستقبال، وقد يكون اعتبارًا بالمنفصلات والمتصلات، والرموز المشتركة، وهذا بحسب ما يتناوله الفهم ويقربه؛ لأن الخلق وهو المقصود عند ذوي المعارف في بساط التعليم، وقد رام بعض الناس اعتبار ذلك بأعداد الحروف، وما يجري فيها والخواص، وما يقال فيها وتوهم آخرون أن هنالك سرًّا لا يفهم ولا يصح أن يمس، والأول مبارك قريب يثير قوة النية، والثاني بعيد؛ لأنه يسد باب الفهم، وقد تفيد العلم عما سوى ما ذكرت، والأمر لله وحده، والسلام.

ثم قال الشيخ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: [انصرنَا فإنكَ خَيرُ النَّاصِرين، وَافتحْ لنَا فإنَّكَ خَيرُ الفَاتِحِين، واغفِر لنَا فإنَّك خَيرُ الغَافِرين، وارزقنَا فإنكَ خَيرُ الرَّازقينَ، وارحمنَا فإنكَ خَيرُ الرَّاحِمِين، واهْدِنَا وَنَجِّنَا مِنَ القَوم الظَّالِمِين، وَهَب لنَا مِن لَدُنكَ رِيحًا طيبًا كَمَا هِي فِي عِلْمِكَ، وَانشرْهَا علينَا مِن خَزائنِ لُطفِكَ وَرَحمتِكَ وَاحملنَا بِهَا حَمْل الكَرَامةِ مَعَ السَّلامَة وَالعَافِيَة في الدينِ، وَالدُّنيَا، والآخِرة، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ].

قلت: هذا تفسير لموضع التسخير بهاذا يكون كما أن ما قبله رمز وإجمال له، فهذه الجملة تفصيل في تفسير، وتفسير في تفصيل، فالنصرة من بساط الكفاية، والفتح من بساط الهداية، والرزق من وجوه الولاية، والرحمة والهداية من عين العناية، والنجاة من صدق الوعد: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

وذكر الريح الطيبة رجوع للحاجة الماسة، وكونها ريحًا طيبة هو المقصود لا مطلق الريح إذ قد تكون مهلكة بكل ما جاء في القرآن من الريح بالإفراد إنما جاء في الإهلاك غير ما قيد في قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس:٢٢]، في مقابلة قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس:٢٢]؛ فافهم.

وقوله: كما هي في علمك تبرى من الاقتراح بتعيين المطلب، ورجوع للتفويض في تعيينه وكأنه يقول: الريح الطيبة في علمك هبها لنا كان ذلك موافقًا لعلمنا أو مخالفًا؛ لأنه لا يعلم النافع والأنفع على الحقيقة إلا أنت، فإنَّا قد نحب الشيء وهو شر لنا، ونكره الشيء وهو خير، وقد وقع لنا من ذلك أن توقف علينا الريح، فكان جماعة منا يتطلبون الريح الأزيب[1] لاعتقادهم أنه الموصل، وكما نجتنب اقتراحهم في ذلك خوفًا مما ذكرناه، وربما نهيناهم عنه فأتى الله – جَلَّ جلاله- بأزيب عاينوا فيه الغرق، ولولا أن غيره جاء في الحال لكان ذلك، فرجع عقالهم لطلب الريح الطيبة على الإطلاق، واسترحنا واستمر الأمر مع العافية.

ثم قوله: (وانشرها علينا من خَزائن رحمتك) يعني: وأجرها لنا بالرحمة من عين الرحمة لا بالغضب ومن عين الغضب؛ لأنه تعالى قد يرحم بما به يعذب ويعذب بما به يرحم، وقد أهلك قوم عاد بالريح، وسخرها لسليمان – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فكانت من

(١) الأَزْيَبُ: ريحٌ من الرِّياح، بلغة هذيل أراها: الجَنوب، وفي الحديث: إنّ لله ريحاً يُقال لها: «الأَزْيَبُ». والأَزْيَبُ: الرَّجلُ المتقاربُ الخَطْوِ. [العين ٢/ ٩٣].

النعم في ملكه، وأجراها كذلك في البر والبحر، وكذا في سائر الأسباب الجارية يرحم بها قومًا، ويعذب بها آخرين، فإذا جرت من بساط الرحمة كانت نعمة، وإذا جرت من بساط الغضب كانت نقمة.

ولذلك – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يقول عند هَيجان الرِّيح: «اللهم لا تهلكنا بسخطك وعقابك، وعافنا قبل ذلك»(١). وقد يكون طلبه؛ لأن تكون من بساط الرحمة لا بسبب ولا بعلة.

وقوله –رَضِيَ اللهُ عَنه: «واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة»(٢).

يعني: واحملنا بالريح حمل الكرامة التي حملت بها آدم – عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وبنيه، وذريته فقلت وقولك الحق: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] واحترز بحمل الكرامة عن حمل الإهانة الذي سلط على قوم عاد إذ كانت تحمل البعير بحمله، وما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، والسلامة يعني: من العوارض والآفات حتى لا يلحقه شر ولا ضر، والعافية خلو الوقت عن الانزعاج، والاضطراب والتقلب، ثم إن كان بالسكون إلى الله–جَلَّ جلاله– والرضا عنه فهي العافية الكاملة، وإن كان بجريان الأسباب الموافقة فهي العافية العادية، والسلامة في الدين بامتثال الأوامر، والاستسلام للقهر من غير مناف، ولا معارض والسلامة في الدنيا بجريان الأغراض على موافقة، ونفي العوارض عن كل حال موافقة، ويجمع ذلك العيشة الهنية والحالة المرضية؛ لأنه لا يتم أمر الدنيا والآخرة إلا بالهنا حتى أن أهل الجنة في الجنة لولا قوله تعالى:﴿هَنِيٓـًٔا﴾ بعد: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ [الطور:١٩]، ما صح كونه منة عليهم.

وقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦]، يعني: أن ذلك لا يعز

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٢٦).

(٢) مثله رواه أحمد في «العلل» (١/ ٥٥٩)، بنحوه.

عليك، ولا يبعد في قدرتك أن تعطيني ذلك بلا سبب ولا علة، وفي ذلك إشعار بعجز العبودية، واتساع أمر الربوبية، والمنع والعطاء التيسير وغيره.

ثم قال الشيخ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: [(اللَّهُمَّ) يَسِّر أُمُورنَا مَع الرَّاحة لِقُلُوبنَا وَأبدانَنا والسَّلامَةِ وَالعَافِيَةِ فِي دِينِنَا وَدُنيانَا، وَكُن لنَا صَاحبًا فِي سَفَرِنَا، وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِنَا، وَاطمِس عَلى وجوهِ أَعدَائِنَا، وَامسَخْهُمْ عَلى مَكَانَتِهِم، فَلا يَستَطِيعونَ المُضيَّ وَلاَ المَجِيء إِلينَا].

قلت: لما سأل العافية والسلامة في الدين والدنيا والآخرة سأل التيسير مع ذلك في الأمور؛ لأنه ليس بلازم لهما، ولا عبرة به إلا معهما، وكل ذلك دون راحة القلب والجوارح لا فائدة فيه، وإنما قدم ذكر الدنيا على الآخرة؛ لأن السلامة والراحة فيها أصل في تحصيل الآخرة، وكمال فضائلها أدب إذ لا كمال مع فساد الطبيعة، ولا راحة مع مزعجات النفوس، ولا بدَّ من علم وعقل، وعيش في جميع الأحوال.

ولذلك قال ابن عطاء الله - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- في «الحِكَم»: «من تمامِ النعمةِ عليك أن يرزقَك ما يكفيك، ويمنعَكَ ما يُطْغِيكَ، ليقلَّ ما تفرحُ به، ويَقِلُّ ما تحزن عليه»[1].

(١) قلت: من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همته إليه، ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائنًا ما كان، فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو الغنى بالله، إذ لا نعمة أعظم من الغنى بالله، والغيبة عما سواه، ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه، فإذا رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك أكلاً ولباسًا ومسكنًا، ولقيام روحانيتك علمًا وعملاً وذوقًا ومعرفة، ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك، فقد أتم نعمته عليك، فاشكره على ما أسدى إليك، وتوجه إليه وحده فيما تعذر عليك، وادفع ما يشغل قلبك من النهوض إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقد استعاذ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مما يشغل القلب وينسي الرب فقرًا أو غنًى، فكان يتعوذ من الفقر المنسي والغنى المطغي.

وقال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللهمَّ اجعلْ رزقَ آلِ محمدٍ قُوتًا»، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خيرُ الذِّكرِ الخفيُّ»، أي: في القلب وهو الفكرة «وخيرُ الرزق ما يكفي»، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما طلعت شمس إلا وبجناحيها مَلَكَان يُسمعان الخلائق غير الثقلين: أيها الناس هَلُمُّوا إلى ربكم، ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى» وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: -

إنما سأل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- ربه أن يجعل قوت آل محمد كفافًا[1]؛ لذلك حتى لا يكون لهم عدم من عجز، ولا وجود مشغل، ويرحم الله الثقفي -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- حيث قال: «أُفٌّ لاشتغال الدنيا إذا أقبلت، ولحيرتها إذا أدبرت». والعاقل لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة.

وأنشدوا في ذلك:

«ليس الغِنى بكثرة العَرَضِ، إنَّما الغنى غنى النفس».

وقال عبد الواحد بن زيد - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: سمعت أن جارية مجنونة في خراب الأيلة تنطق بالحكم، فكنت أطلبها حتى وجدتها وهي محلوقة الرأس وعليها جبة صوف، فلما رأتني قالت: مرحبًا بك يا عبد الواحد، فعجبت من معرفتها لي ولم ترني فقلت لها: رحب الله بك، ثم قالت: ما جاء بك؟ قلت: تعظينني، قالت: واعجبًا لواعظ يوعظ يا عبد الواحد، اعلم أن العبد إذا كان في كفاية ومال إلى شيء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد وظل حيران ولِهًا، فإن كان له عند الله نصيب عاقبه وحيا في سره فيقول له: «عبدي أردت رفع قدرك عند ملائكتي، وأجعلك دليلاً لأوليائي، ومرشدًا لأهل طاعتي، فملت إلى عرض الدينا وتركتني، فأورثك ذلك الوحشة بعد الأنس، والذل بعد العز، والفقر بعد الغنى، ارجع إلى ما كنت عليه، ارجع إلي ما كنت تعرفه من نفسك، ثم انصرفت عني وتركتني وبقيت حسرتها في قلبي».

وفي بعض الكتب المنزلة: «إن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي» انتهى. وإنها كانت الكفاية نعمة، والزيادة عليها نقمة كما قال الشيخ، لأن النفوس مجبولة على حب العطاء وكراهية الفقد، فإذا أعطاها فرحت، وإذا أزال عنها حزنت، فمن أراد أن يدوم فرحه فلا يأخذ فوق كفايته ما يحزن على فقده، كما أبان ذلك بقوله: [ليقلَّ ما تفرحُ به يَقِلَّ ما تحزن عليه].

قلت: فإذا أردت أن يدوم سرورك فلا تملك شيئًا تحزن على فقده؛ لأن حزنك على فقده دليل محبتك له، فإذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك، فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه. وهنا ميزان آخر أحسن من هذا وهو أنك إذا أطلقت من نفسك، وجعلتها غرضًا لسهام أقدار ربك، لا تعارضه فيما يفعل بك، لا شك إنك تستريح ويدوم فرحك، لأنك حينئذٍ منتظر ما يبرز من عند الحبيب، فتتلقاه بالرضا والترحيب، وهذه حلاوة برد الرضا والتسليم، فإن صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم المقيم وهذه هي الولاية الكبرى، من تقلدها لا يعزل عنها أبدًا. انظر: إيقاظ الهمم، حكمة رقم (٢٦٢).

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٣٠).

وَمَـن يحمَـد الـدُّنيا بِـشيءٍ يَـسُره　　فَسوفَ لعَمْرِي عَـن قَريـبٍ يَلومُهَـا
وَإذَا أَدْبرتْ كَانتْ عَـلى المَـرءِ حَـسْرَةً　　وإنْ أَقْبلَـتْ كَانَـتْ كَثِـيرًا همومُهَـا

وقد تكلف بعض من يقرأ هذا الحزب فقدم ذكر الدين على الدنيا، وزاد: وآخرتنا وأنفسنا، وذلك لم يصح رواية، ولا يوافق حكمة، وإن ظهر له بعقله، وربما ادعاه روايةً فزاد الكذب إلى التحويل والتعدد، أعاذنا الله تعالى من ذلك.

وقوله: (وكن لنا صاحبًا في سفرنا، وخليفة في أهلنا) يعني: حتى لا نظلم ولا نضيم، ويجري الخير فيما خلفنا كما هو معنا. وهذا مأخوذ من قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل»(١).

والخليفة: هو كافل الأمر وكافيه بعد مستحقه بتوكيله والصاحب الملازم بإجراء المنافع ودفع المضار، وإطلاقهما في حق الباري سبحانه على معنى الكفاية، والكفالة بزيادة الرحمة والإعانة، وإجراء المنافع، ودفع المضار، ولولا أن الشارع – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – أتى بهذين اللفظين ما صح إطلاقهما في حق الباري من أحد، وإنما أطلقهما الشارع تقريبًا للأفهام.

ثم اختلف العلماء في جواز ذلك لغيره اعتبارًا بالمعنى، وعرف التخاطب، واتقاء مواقف الشبه والإشكال فتدبر ذلك واعرفه.

وقوله: («واطمس على وجوه أعدائنا»)(٢) أي:- رُدَّ وجوههم على أدبارهم حتى لا يمكنهم التصرف على وجه يريدونه، ولا بوجه مستقيم قال الله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٧٨).
(٢) مثله: ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٦)، بنحوه.

نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء:٤٧]. فانظر تفسيره[١].

وقوله: (وامسخهم على مكانتهم) بمعنى: ألزمهم إياها عجزًا، وضعفًا فلا يستطيعون المضي عن أماكنهم لغيرهم، ولا المجيء إلينا منها، فيستريح غيرنا منهم كما نستريح، ثم تلى الشيخ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٦، ٦٧].

قلت: وإنما تلا هذه الآية بعد الدعاء بمقتضاها تحقيقًا لما تقتضيه من جواز إيقاع ذلك واستدلالاً إياه وتبركًا بالآية في حصول المقصود منها في حق الأعداء، وإشارة؛ لأن وقوع ذلك من خاصيتها؛ لأن كل ذكر فخاصيته من معناه وتصريفه في مقتضاه وسره في عدده، وعلى نحو ذلك جرى كل من تكلم في الخواص بطريق القياس، والنظر كالقاضي التميمي والبوني وغيرهما-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- والله أعلم.

وقد تقدم معنى الطمس والمسخ، ومتى طمست الأبصار امتنع الإبصار، فاستبق أهلها الصراط لينفذوا فلم يجدوه، وإن وجدوه لم يصلوا، وإن وصلوه لم يقدروه للنفوذ عليه؛ لأنهم ممنوعون من ذلك لطمسهم ومسخهم فأنى أي: كيف يبصرون مع ذلك.

[﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝

(١) الطمس: ذهاب ظلمة السيار في تجلي نور الأنوار، بحيث لم يبق النور من ظلمته رسماً ولا أثراً، والطمس فوق الحرق، الذي هو فوق البرق كما عرفت ذلك في بابيهما، وهو فوق المحو لأنه، أعني المحو، رفع أوصاف العادة، والطمس رفع جميع الأوصاف وفوقه المحو الذي هو رفع الذات. [لطائف الأعلام للقاشاني]. وانظر: تفسير روح البيان للشيخ حقي (٢/ ٤٨٢)، وتفسير البحر المديد لابن عجيبة (١/ ٤٣٥)، وتفسير الألوسي (٤/ ٧٨).

لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩]].

ثم رجع الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– لأول السورة فقال: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١، ٢] إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩].

قلت: وإنما تلاها؛ لأن سر الافتتاح يسري في كل السورة، ومدار أمر السورة على مقدمتها، فالحرفان الأولان ترجمة ما تدور عليه السورة من الولاية والسلامة، وظهور معنى اسمه السلام بعد الولي، وبيان ذلك أنه افتتح بعد ذلك بقسمه بالقرآن الحكيم على أنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – من المرسلين، وأنه على صراط مستقيم، وأن ذلك الصراط المستقيم تنزيل العزيز الذي لا يذل من والاه الرحيم الذي لا يسلم من تولاه، وأن ذلك إنذار وإعذار، وتنبيه لمن أراد الله تعالى نفعه؛ وإلا ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وإنما يؤمن ويتيقظ الأقل الذي أراد الله تعالى به الإحسان فهو إخبار عن تسليمه لنبيه وسلامته، وولايته له، ولعامة المؤمنين من عباده.

ثم كذلك... إلخ إلى قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣] نعم وجميع ما في القرآن يجوز على ما ذكر من الولاية والتسليم بمعنى أنه مقصود به، ومن ثم جاء أن قلب القرآن لـ«يس» كما رواه الترمذي وغيره.

قيل: وقلب لـ«يس» ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨] ﴿وَٱمْتَٰزُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٩]، فتأمل ذلك وبالله تعالى التوفيق.

فإن قلت: لِمَ أخَّر السورة عن الآية التي بعدها، وقدَّم الآية التي قبلها بعدها؟

قلنا: إنما أتى بالآية أولاً استطراد، ثم ذكر أول السورة استدراكًا، وكأنه تنبيه على أن معنى ما ذكر، والأخذ منه بحسب المقاصد ولا يضره التقطع إذا لم يكن مقصودًا للتحويل، ولم يفهم تغيرًا للفظهم، والله أعلم.

ثم قال الشيخ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: شاهت الوجوه، شاهت الوجوه، شاهت الوجوه ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قلت: شاهت الوجوه زلت، وخابت، وخسرت فانصرفت بغير مرادها مقهورة مغلوبة، وهذه الكلمة قالها رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يوم أحد حين قابل الجيش بعد جولة المسلمين، وافتراقهم عند ظنهم موته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – إذ صرخ به الشيطان فأخذ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – كفًّا من حصى ورماه في وجوههم قائلاً: «شاهت الوجوه» فما منهم رجل إلا وجاء في عينه من الحصى المرمي به، وانهزموا مدبرين، وهو يقول:

أَنَـا النَّبـِيُّ لا كَـذِب أَنَـا ابْـنُ عَبْـدِ المُطَّلِـب

وأنزل الله في ذلك ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، فهي موضوعة لهزم الجيش، وصرف العدو، والظالم تأسيًا بالسنة، وعلى ذلك جرى الشيخ في سياقها؛ إذ ألحقها بآيات صرف الأعداء، وطمسهم طلبًا للنصرة في الجملة.

وأتبع ذلك بقوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]، استطرادًا لذلك وتنبيهًا على أن كل ما دون الله -جَلَّ جلاله- محتقر، إذ معنى عنت: ذلت وخضعت، والحي القيوم هو الله سبحانه حي لا يموت، وكل من دونه من حي يموت، و«الحي»(١) الذي يموت، فالحي حياته مستعارة لا حقيقة لها إلا بالحي الذي لا يموت،

(١) (الحي) هو الموصوف بالحياة التي لا يجوز عليها فناء، ولا موت، ولا يعتريها قصور، ولا عجز، ولا تأخذه سِنةٌ، ولا نوم، والتقرُّب بهذا الاسم تعلُّقًا أن تكون بين يديه؛ كالميت بين يدي الغاسل لا تتحرك إلا به، ولا تلتفت لما سواه؛ لأنه ليس بيده ضرٌّ ولا نفعٌ. وخاصيته: ثبوت الحياة في كل شيء. وفي «الأربعين الإدريسية»: يا حيُّ لا حيَّ في ديمومة ملكه، وبقائه، ومَن قرأه ثلاثمائة ألف؛ لم يمرض أبدًا، ومَن كتبه في إناء صيني بالمسك، وماء الورد، وحلَّه بماء السكر المصري، وشربه ثلاثة أيام؛ برئ من مرضه إن شاء الله تعالى. [شرح ورد الستار للشرقاوي ص ١٤٧].

فالحي الحقيقي هو الله سبحانه، ومن سواه لا حياة له، وإن كان حيًّا؛ لأنه معه كالميت في الوجوه لا حركة له إلا به، وإن كان له وجه من القدرة، فلا أثر لها.

و«القيوم»[(١)]: هو القائم بنفسه الذي لا يجوز عليه الافتقار، والقائم بغيره الذي كل شيء مفتقرٌ إليه في قيامه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، أو المجازي لها بما فعلت؛ فالحي القيوم من الأسماء الذات الكريمة.

قيل: وهما اسم الله الأعظم، وهذا الذي دلت عليه الأحاديث، وشهدت به حقائق المعاني.

وفي حديث أسماء بنت عميس -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا: اسم الله الأعظم في البقرة، وآل عمران زاد غيرها: وطه.

قال صاحب السلاح[(٢)]: هو اسمه الحي القيوم؛ لأن هذه السور إنما اختصت بذاك لكن في الأول تعيينه بقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وفاتحة آل عمران نعم قال: بعض مشايخنا منها كتب به لبعض الفقهاء الله لا إله إلا هو الحي القيوم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:١،٢]، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١] جوامع الاسم الأعظم المخزون.

---

(١) (القيوم): هو القائم بالأشياء إذ لولا إمداده لها ما بقيت وما وجدت وقيل هو القائم بنفسه الذي لا يفتقر إلى غيره وهو القائم به غيره من خلقه أو القائم على الأمور أولها وآخرها ظاهرها وباطنها قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣].

وخاصيته: حصول القيام والقيومية ذاتًا، وصفاتًا، قولاً، وفعلاً، فمَن ذكره مجردًا؛ ذهب عنه النوم، ومَن ذكره مع الحي بأن قال: يا حيُّ يا قيُّوم من مبادئ طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ وجد في نفسه من الخفة، والنهضة، والتوفيق ما لا منَّ الله عليه، ويقال: إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام حين دخلوا البحر عن: اسم الله الأعظم، فقال لهم: قولوا أهيًا؛ يعني: يا حيُّ شر العباد؛ بمعنى: يا قيُّوم، فقالوا ذلك؛ فنجوا من الغرق، فإذا دعي به مَن في البحر؛ نجَّاه الله من الغرق.

(٢) أي: سلاح المؤمن في الذكر والدعاء لابن الهمام، وهو مطبوع أكثر من طبعة.

قلت: كونها جامعة هو المعنى المذكور في الرواية المتقدمة من قوله: كل اسم جرى معناه في الأسماء، فتأمله، وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:١١١]، يعني: في الدنيا بعدم النصر وانتفاء التأييد وفي الآخرة بالطرد، والعذاب الشديد فهو متوعد بالخيبة في الدارين، ثم لا بُدَّ له من أخذه لا ينفعه فيها، ولا يزال الله – جَلَّ جلاله– ينتقم من كل ظالم بظلمه حتى ينتقم منهم جميعًا.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]، وهذا كله على معنى الخبر في الآية، وكون الشيخ – قدَّس الله سره – قد أتى بها استطرادًا وبناءً على حسن الظن بالله، وقد تكون بمعنى الدعاء عليهم بالخيبة فيما هم به، فانظر ذلك.

ثم قال الشيخ –رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: [طس، حم، عسق، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] حم حم حم حم حم حم حم، (حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون)][1].

قلت: ذكر هذه الرموز للتبرك، وعلى الوجه الذي تقدم في كهيعص وليس من الإشارة والتنبيه إن شاء الله تعالى، فالطاء للطهارة، والسين للسلامة، وحم للحماية،

(١) [(اللَّهُمَّ) لا تَقْتُلْنِي بغَضَبِكَ، وَلاَ تهلكني بِعَذَابِك، وَعَافِنِي قَبل ذَلك، (اللَّهُمَّ) لاَ تُؤاخِذنِي بِسوءِ عَمَلِي، وَلاَ تسلِّط عَلَيَّ مَن لاَ يَرحمني، وَكُفَّ أيدِي الظَالِين عَنِّي، يَا حَفيظُ احفَظنِي، وَيَسِّرْ أُمُورِي، وَحَصِّل مُرَادي، حُمَّ الأمر، وَجَاء النَصر فَعَلينَا لاَ يُنصَرونَ، ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:١-٣]، بِسم الله بَابنَا، تَبَارَكَ حِيطَانُنَا، يس سَقفُنَا، كهيعص كِفَايتُنَا، حم عسق حِمَايَتُنَا، ق، وَالقُرآنِ المَجِيدِ وِقَايتُنَا، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] (ثلاثًا)، هكذا جاء هذا الجزء في الرواية المشهورة، المجموعة في الأحزاب الشاذلية.

والعين للعناية، والسين للسلامة، والقاف للقدرة؛ لأن سورة النمل قد أفادت في كل قصصها طهارة المؤمنين وسلامتهم، وكذا كل ما ذكر فيها؛ فأول ذلك طهارة موسى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وسلامته من فرعون وقومه، ثم سلامة سليمان - عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وداود - عَلَيْهِ السَّلاَمُ- في ملكهما من كل نقص، وظلم، وقصور، وتقصير ثم سلامة الهدهد وطهارته من المخالفة فيما هو به، ثم سلامة بلقيس وطهارتها بالإسلام، وسلامة جند سليمان - عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وطهارتهم من مقابلة قومها، ثم طهارة صالح - عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وسلامته من قومه، وطهارة لوط - عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وسلامته من فعل قومه وأذاهم، ثم طهارة عباد الله المخلصين، وسلام الله عليهم، وأجرى على ذلك في بقية السورة، واعتبر ظهور سر الملك، والرمز له بالميم في بقية الطواسيم، وسقوطها من هذه لظهور معناها بوجه جلي، وإنما يرمز للأمور الخفية حتى يكون سر المعنى ظاهرًا من وجه الرمز، ومن ذلك إسقاط البسملة من سورة التوبة، إذ إنما أسقطت فيها تنبيهًا على أنها اختصت من الرحمة بما لم يختص بها غيرها، وهو تنزيل الحق لعباده بالاشتراء، وتعريفهم بأحوال أهل الافتراء حتى لا يقعوا مواقع الضرر والافتراء، وقس على هذا واعتبره في الحواميم بما هو معناها واعتبر قوله: حم، عسق بأن حم للحماية(١).

ولذلك قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - للصحابة يوم أُحد: «ليكن شعاركم حم لا يُنصرون»(٢) أي: لحماية الله تعالى لا ينصرون؛ إذ إن الله يدافع عن الذين آمنوا،

---

(١) قوله تعالى: ﴿حم﴾ أي: قضى ما هو كائن، قاله الواحدي، وقيل: حرفا هجاء، وقيل: حم بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة، كأنه يقول حم الأمر ووقع. قال الضحاك والنسائي: عن ابن عباس-رضي الله عنهما- إنه اسم الله الأعظم، وقيل غير ذلك، والصحيح أنها من جملة الأسرار، جامعة الأنوار، والتي يحصل به النصرة والانتصار.

(٢) رواه أبو داود (٣/ ٣٣)، والنسائي (٦/ ١٥٧).

وترجمة ذلك في قولهم: الله مولانا، ولا مولى لكم في مقابلة قولهم: لنا العزى ولا عزى لكم، وقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ -جَلَّ جلاله- أَعْلَى وَأَجَلُّ»(١) في مقابلة قول قائلهم: أَعْلُ هبل، وقوله: ﴿عسق﴾ إشارة لاسمه العليم، السلام، القيوم فتحصل العناية بالحماية، والسلامة والقيامة في الأمور إذ الحماية موجودة بعلمه، وتسليمه، وقدرته فالحماية من حضرة الأفعال، وما ذكرنا في العين، والسين والقاف من معاني الصفات، وهما بحران جاريان في المخلوقات ممتزجان في ظهور الأثر غير ممتزجين بالحقيقة، والخبر بينهما برزخ، والفعل والانفعال لا يبغيان فيشتبهان أو يدخل معناها في بساط الجلال والجمال ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:٢٠] أي : لا يبغى واحد منهما على الآخر فينفيه أو ينافيه.

ثم ذكر السبعة الحواميم وعددها على أن وجوه الحمايات سبعة يختلف أصلها، وفرعها، وبساطها، وانبساطها باختلافها في ظهورها ومظاهرها، وقد جمع في ترجمة أولها من قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:٢، ٣]، لكل واحدة بسط لما وقعت عليه بما فيها من القصص وغيرها، وتنبيه على ما دلت عليه، وفي كل سورة نكتة جامعة، وآية واضحة في شأنها كظهور عزه وعلمه في السورة الأولى التي نكتتها: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٥١].

وخاتمتها: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر:٨٥]، وظهور غفرانه وعطفه في السورة الثانية التي طالعتها ذكر الرحمة.

ونكتتها: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت:٤٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٨١٢).

وخاتمتها: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] ، إلى قوله تعالى: ﴿مُّحِيطٌۢ﴾، وظهور توبته وعفوه في السورة الثالثة التي طالعتها ذكر أنه تعالى عظيم.

ونكتتها: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥].

وخاتمتها: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝﴾ [الشورى:٥٢، ٥٣].

وظهور عقابه للكافرين، وزجرهم في سورة الزخرف، وهي الرابعة، واعتبر ذلك بما في طالعتها من قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:٦].

ونكتتها ذكر تفاصيل أهل النار، ونداهم: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

وخاتمتها: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٩]، وظهور طَوْلُه أي: غناؤه ووجود الخير في يديه في السورة الخامسة التي هي الدخان التي طالعتها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

ونكتتها: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان:٤٠]، إلى قوله: ﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] ثم إلى آخر السورة ظاهر في تعريف الغنى والعز، وظهور سر الألوهية، وبرهانها في السورة الجاثية؛ إذ مبدأها وجه الاعتبار ووسطها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [الجاثية:١٨] الآية، وخاتمتها: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:٣٦]، الآية فذكر أوصاف الإلوهية أجمعها في هذا الختم بوجه واضح جامع للمعاني والمباني.

ثم ذكر مصير الأمور إليه في سورة الأحقاف إذ جعل طالعتها مبدأ الخلق وإليه المنتهى أولاً، وجملتها بسط وجودهم، وخاتمتها: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فتأمل ذلك وانظر ببصيرتك تجده تام الاعتبار على وجه لا يقدر على استيفائه إلا هو سبحانه، ولا يستوفيه إلا ذوو القلوب والأبصار وأهل النظر والاعتبار، وربنا الفتاح العليم.

وقوله: (حُمَّ الأمر) اشتد واستوى، وتتابع بالحامية، (وجاء النصر) أي: الإعانة بيد القدرة، وقوله: (فعلينا لا ينصرون) يعني: الأعداء، وما في معناهم، وقد جاء في الحديث: «من قرأ آية الكرسي مع أول حم المؤمن في صبيحة يوم حفظ حتى يمسي، ومن قرأها مساء حفظ حتى يصبح»(١).

وروى مع ذلك سورة الدخان، وقد تقدَّم الكلام عليها؛ فتأمله راشدًا، وبالله التوفيق.

ثم قال الشيخ – رضي الله تعالى عنه: [بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، حم عسق حمايتنا؛ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧] ثلاثًا.

قلت: بقول بسم الله ندخل في الأمور، ونخرج منها، وبه نتحصن من كل آفة ومحنة؛ فهي باب الأمور ومفاتحها.

وقد جاء في الحديث: «من أراد أن يحيا سعيدًا، ويموت شهيدًا، فليقل عند ابتداء كل شيء: بسم الله، وعند الفراغ منه: الحمد لله»(٢).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بذكر اسمه الكريم في البدايات تارة مع تكميل البسملة، وتارة دون إكمالها؛ فالبسملة باب، وتبارك محيطان يعني: سورة تبارك؛ لأنها حصن من الأعداء، وجامع للمنافع كما جاء في فضلها أعني: سورة تبارك الملك؛ لأنها

(١) ذكره ابن كثير (٤/ ٧٠)، بنحوه.
(٢) لم أقف عليه.

موقف التوكيل، والمجادلة، والمحارسة لمن تبرك بقراءتها، قالوا: وعليها كان سلوك الشيخ أبي مدين ﷺ، ويناسبها من الأذكار لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ فلذلك كانت خلوته به، وسورة: قل أعوذ برب الناس من معنى ذلك، والله أعلم.

وليس هي السقف الذي به الستر، ودفع الأمور النازلة، فسورة ليس لمن تلاها ستر وحماية، وقد تقدَّم ما في كهيعص من المعنى والمبنى، وإن خاصية كل اسم من معناه وتصريفه في مقتضاه وسره في عدة، وتقدَّم أيضًا فيها في قوله: حم، عسق، وأنها حماية وعناية وسلامة وقيام في الأمور.

وقد قيل: إن من عقد أصابعه بقوله: كهيعص، حم، عسق يجعل كل حرف مقابلة إصبع، ثم دخل على مَنْ يخاف منه، وفتح أصابعه في مجلسه حيث يقابله سواء رآه أو لم يره كانت له حصنًا وقبولاً عظيمًا، وإن أضاف إليها ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] كان سرًّا عجيبًا؛ فلذلك ذكرها الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – وفيها سر التوكل والكفاية، وإنها ذكرها ثلاثًا؛ لأن سنة الذكر ثلاثًا، والله أعلم.

ثم قال الشيخ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: [سِترُ العُرشِ مَسبولٌ عَلينَا، وَعينُ الله نَاظِرةٌ إِلينَا، بِحولِ الله لِا يُقدَر علينَا، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج:٢٠] (ثلاثًا) ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤] (ثلاثًا) ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] (ثلاثًا) ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩] (ثلاثًا)، بِسمِ الله الذِي لاَ يَضُرُّ معَ اسمِهِ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلاَ فِي السَّماءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم (ثلاثًا)، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوة إِلا باللهِ العَلي العَظِيم (ثلاثًا)].

قلت: هذه جملة تعوذ وتحصن، واستناد إلى الله تعالى في طلب الستر والحفظ فستر

العرش هو الستر الشامل الكامل الذي عمَّ الخلائق؛ لأنه سقف الجنة، وجوامع عين الله ورحمته وأفضاله ونظرها وتوجهها.

وقد كتب عبد الملك بن مروان للحجاج يهدده ويتوعده، فكتب الحجاج لابن الحنفية في ذلك؛ فأجابه: بأن لله في عباده كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ولعلها أن تصادفني نظرة منها فتنجيني أو قال: فينقذني منك، فكتب بها إلى عبد الملك، فقال: عبد الملك لا يخرج مثل هذا الجواب إلا من بيت النبوة أو كما قال.

وقوله: (بحول الله لا يقدر علينا) يعني: من بقوة الله تعالى التي يحول بها عباده، أو يقلبهم ويصرفهم على مراده، لا يقدر علينا في الوجود بيد عادية ولا غيرها.

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج:٢١]، يعني: عظيم رفيع القدر في لوح محفوظ من الشياطين وغيرهم، وقد يريد محفوظ من التبديل والتغيير فكما حفظ يكون الحفظ به، وكمال الحفظ بكمال الرحمة، والراحمون الذين جرت على أيديهم أسباب الرحمة، وهو الذي رحمهم بذلك لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وإثبات وصف الرحمة للخلق على ملكهم من النقم والحدوث، ولولا إثبات هذه الصفة في كتاب الله تعالى وجريانها من أنبياء الله ما صحَّ إطلاقها منا.

نعم قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١).

وقد نبَّهت الآية على الرجوع من الأسباب للتوكل عند غلبة الأحوال، وهو الأصل.

قال في «التنوير»(٢) والقول الفصل في ذلك: أنه لا بدَّ من الأسباب وجودًا، ومن الغيبة عنها شهودًا، فأثبتها من حيث أثبتها بحكمته، ولا تستند إليها لعلمك بأحديته،

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٨٥).

(٢) أي: «التنوير في إسقاط التدبير» لسيدي ابن عطاء الله، طبع عدة طبعات بمصر وبيروت.

وهو جملة الأمر وغايته، وبالله التوفيق.

ثم قال الشيخ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: **[إنَّ وليي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين» ثلاثًا، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم] ثلاثًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]** ثلاثًا.

قلت: لما ذكر في الجملة التي قبل هذه استنادًا إلى الله تعالى، وإنما سواه تعالى لا يساوي شيئًا، ذكر في هذه الجملة انقطاعه بما سوى الله تعالى بالرجوع إلى ولايته؛ لأنه الذي يتولى الصالحين أي: المنقطعين إليه الذين لا يلومون على غيره، فلم يدعهم لسواه، أو لم يبق فيهم بقية لغيره.

وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «مثل الوفي مع الله كمثل شبل اللبوة مع أمه أتراها تاركته لمن يريد أن يقاتله».

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦].

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه، وواقيه، وناصره.

والصالحون: هم الذين صلحت أحوالهم، وأعمالهم فلم تصلح قلوبهم لغيره، ولا جوارحهم لغير اتباع أمره، فيدخل فيهم الأعلى والأدنى من خاصته وأهله، وهم الذين تحققوا، وتخلقوا بمقتضى قوله: حسبي الله أي: اكتفيت به، أي: فلا أطلب غيره، ولا أطلب من غيره؛ لأنه لا إله إلا هو أي: لا مستحق للكمالات مع اتصافه بها سواه عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، فلا أحب سواه، كما قال يوسف الصديق - صلوات الله وسلامه عليه- لما خرج من السجن؛ إذ قال: «حسبي من دنياكم ديني، وحسبي من ديني ربي».

وذكر العرش بوصف العظمة؛ لأن مالك العظيم عظيم فوق عظمته بالضرورة.

وقوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) تعني: لا حركة ولا ثبات إلا بإذنه وتقديره.

وفي حديث: «لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بإعانة الله»(١).

وجاء في الحديث: «أنها كنز من كنوز الجنة، وأنها تدفع سبعين بابًا من البلايا أدناه الهم»(٢).

قيل: معنى كونها من كنوز الجنة أنها بساط الرضا والتسليم الذي هو جنة الدنيا(٣).

---

(١) رواه البزار (٥/ ٣٧٤).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٥٨٠).

(٣) قال الشيخ زَرُّوق في شرحه على الرسالة (ص٣٢) بتحقيقنا: أي لا حركة، ولا سكون، ولا تحول، ولا إثبات إلا بتحريكه وتسكينه، ولا تحول عن أمر ولا ثبات فيه إلا بقضائه وقدره ومشيئته وإعانته، فهذه الكلمة تفويض إلى الله سبحانه، وهي عنان الرضا بالقضاء، ومن ثم كانت كنزًا من كنوز الجنة. قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لأبي موسى الأشعري: «يا عبد الله ألا أخبرك بكنز من كنوز الجنة، قال: بلى يا رسول الله ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»، انتهى. وإنما كانت كنزًا من كنوز الجنة؛ لأن الرضا من الله مفتاح السعادة وباب العبادة، فقد قال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العابدين، وجنة الدنيا، وقد فسر رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- هذه الكلمة لعبد الله بن مسعود –رضي الله تعالى عنه: «أن معناها لا حول عن معصية الله، إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله، إلا بإعانة الله». وقوله: (العلي) معناه: المرتفع في المرتبة والمكانة والعظمة، وقوله: (العظيم) أي: الذي يصغر عند ذكره، وصفته كل شيء سواه، فهو تعالى عظيم في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، عظيم في علوه، عليٌّ في عظمته. وعنه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «من قال لا حول ولا قوة إلا بالله، كانت له دواء من تسعة وتسعين داء، أيسرها الهم».

قال المناوي: لأن العبد إذا تبرأ من الأسباب، انشرح صدره، وانفرج همه، وجاءت القوة والعصمة والتأييد، وقويت جوارحه الباطنة، والتقييد بالعدد موكول إلى علم الشارع، ويحتمل أن المراد التكثير، انتهى. انظر: [الأنوار السنية للعياشي على الوظيفة الزروقية (ص١٠٦)] بتحقيقنا.

وقد قال عبد الواحد بن زيد - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العابدين، وجنة الدنيا».

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

قيل: بالرضا عن الله، وقيل: بالقناعة، وأنها وصف الأولياء بأنهم لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون؛ لأنهم قد استسلموا إلى الله، ورضوا عنه؛ فلا يختارون غير مختاره، وذلك أمر لا يصح معه حزن ولا خوف، والله أعلم.

وقد جاء في الحديث من قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، بعد صلاة الصبح كفاه الله يومه ذلك، وإن لم يكن صادقًا في توكله، وإن قال مساءً فكذلك حتى يصبح.

وروى عبد الملك بن حبيب: أن من قالها عشرًا صباحًا؛ كفاه الله شر ما خلق، وذكر مثله مساءً، والأول صحيح أو قريب من الصحة بخلاف الثاني، وبالله التوفيق.

***

خاتمة

تحتوي على ثلاثة فصول مهمة، قد وعدنا بها أول الكتاب لتمام الإفادة، وفتحًا لباب التحقيق[1] والإرادة.

الفصل الأول منها
في الاعتقاد والاستناد والتشبه

اعلم أن الاعتقاد أصل كل خير، والانتقاد أصل كل شر، ثم شرط الاعتقاد عدم الاغترار، وشرط الانتقاد عدم الإضرار، وقد قال الشيخ أبو مدين -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «اعتقد ولا تنتقد، ولا تطمئن لأحد» كذا سمعته من بعض السادة.

وقال الفقيه أبو عبد الله المغربي -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «الاعتقاد ولاية،

---

(١) التحقيق: هو عند الطائفة عبارة عن رؤية الحق تعالى في أسمائه، فإن لم ير الله كذلك فهو إما محجوب برؤية الكون عن العين، وبرؤية الخلق عن الحق، أو مستهلك في العين عن الكون. وفي الحق عن الخلق، وهذا الشخص يفوته من الحق بقدر ما جهل من الخلق، إذ لا يمكن أن تعلم أنه تعالى خالق ورازق حال فنائك عن رؤية المخلوق، والمرزوق، فمن لم يشاهد الاسم الخالق والرازق عند رؤية كل مخلوق ومرزوق، فهو محجوب عن العين بالكون فلا يرى الله، ومن لم ير الله فقد فاته المعرفة الحقيقية لكونه لا يشهد خالقًا ورازقًا ونافعًا وضارًّا وغير ذلك من الأسماء التي لا تعرف إلا بشواهدها التي هي أعيان الكائنات الدالة على مكونها.
فلهذا كان التحقيق هو رؤية الحق بما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلا قائماً بنفسه مقيماً لكل ما سواه، وأن الوجود بكمالات الوجود إنما هو له تعالى بالحقيقة والأصالة، ولكل ما سواه بالمجاز، والتبعية بل تسمية غيره غيراً وسوى مجاز أيضاً، إذ ليس معه غير، بل كل ما يسمى غيراً، فإنما هو فعله، والفعل لا قيام له إلا بفاعله، فليس هو بنفسه ليقال فيه غيراً، وسوى. فكان مرجع التحقيق أن ليس في الوجود سوى عين واحدة قائمة بذاتها مقيمة لتعيناتها، التي لا يتعين الحق بها لاستحالة الانحصار عليه، أو التقييد، فهو تعالى الظاهر في كل مفهوم الباطن عن كل فهم، إلا عن فهم من قال: إن العالم صورته وهو هويته. فلهذا صار صاحب التحقيق لا يثبت العالم، ولا ينفيه، أي لا يثبت العالم إثبات أهل الحجاب، ولا ينفيه نفي المستهلكين فافهم. [لطائف الأعلام للقاشاني ص١٠٢٥].

والاعتراض جناية، فإذا عرفت فاتَّبع، وإذا جهلت فاسلم، ومبنى التصرف على التصديق والتسليم كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق؛ فالأصل عندنا حسن الظن حتى يأتي الصارف، ومبنى الأمر عند الفقهاء على عكسه حتى يأتي الصارف، والحذر عند الجميع واجب إلى تحقق المزية المانعة من الضرر، فيتعين على كلٍّ من اعتقد أحدًا ألا يقتدى به حتى يحقق علمه وديانته، ثم لا يضره ما عرض من نقصه من غير موافقة له فيه، ولا إيحاش له، وبالله التوفيق(١).

وقد كثر في هذا الزمان التشيخ بغير حق، والتعلق بغير حقيقة، فتلاعب المستندون بأديانهم، وانتفى المدعون عن حقائق إيمانهم، وترى قومًا بمجرد الإنكار يتأذوا، وآثر قوم التسليم، فسلموا فيما به أتوا، ومن الناس من جرى مجرى التعصب لأسلافه، ومنهم من أعان تعصبه على هلاكه وتلفه، فاسلم تسلم، واعتصم بالله، وتمسك بالسنة، وكن قائمًا مع الحق، ترد موارد الرجال، وبالله التوفيق(٢).

واعلم أن من تشبه بقوم كان منهم، وإن لم يعمل بأعمالهم، وصار بعيدًا عنهم،

وحب القوم بلا اتباع ليس قبله فائدة ولا أية انتفاع.

---

(١) قال الشيخ زروق في «شرح الرسالة» (ص٤١): مرجع هذه العقيدة بل وكل عقيدة إلى ثلاث:
أولها: إثبات الذات الكريمة كما يليق بها من كمال التنزيه ونفي التشبيه والرجوع لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].
والثاني: العلم بأسمائه تعالى وصفاته وما يرجع إليها من إجلال وتعظيم وتنزيه.
والثالث: العلم بأفعاله تعالى الواقعة والمتوقعة والجائز نفيًا وإثباتا، وقد تكلم الشيخ على الأول من أول العقيدة إلى هنا ثم افتتح الكلام بالصفات والأسماء بقوله: «العالم والخبير» إلى قوله: «والمقدر لحركاتهم وآجالهم»، ثم أتى بالثالث من قوله: «الباعث الرسل إليهم» آخر الباب؛ فاعرف ذلك وتأمله، وبالله التوفيق.

(٢) تنبيه وعظة: يحضرني الآن حزنٌ وشَجَنٌ على ما يحدث في هذه الأيام، وما سلف من ماضي الزمان، أن ظهرت طائفة تتشدق بالقرآن، وتتخذ لسبيلها الاعتراض والانتقاد للأولياء والصالحين ذريعة للافتتان، ويروجون أغراضهم الزائفة بكل ما عندهم من حيل النفس والهوى والجهالات ووساوس الشيطان، وفوق ذلك ترى الواحد منهم لا يتورع من القسم والحلف بباطل وزور الأيمان، بحجة التعريض والاستحلال لأهل الله الذين عرفوا الحق والحقيقة وعشقوا سبيل العرفان، فوا أسفاه على تقصير من قصروا في انتشار العكر من هذا الطوفان أزاحه الله محملاً بالدحض والخذلان.

وبالجملة: إن من استند إلى ولي من أولياء الله يتعين عليه أن يتشبه بطريقه في أصولها وفروعها المهمة، ثم لا عليه منه دقائقها، ويعتقد أن هذا الولي باب من أبواب الله، يقف به ليأتيه نفحة من نفحات الرحمة على حساب مراده، فيكون قصده الله تعالى دون ما سواه، ويعظمه تعظيمًا يرى فيه رضا الله؛ لأنه تعالى ينوب عن وليه إذا فقد، ويغني به إذا شهد ذكره في نور القلوب، ومشاهدة مفاتيح الغيوب، وقد أشبعنا القول في هذا الأمر في غير هذا الكتاب؛ فانظره، والله الموفق للصواب.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

فيما يصح التشبه به وما يجري بسببه وذكر حكمه

اعلم أن التشبه يكون في الزِّي والخلق وفي العمل، فالتشبه في الزي جائز لدفع المضرة وغيرها لقوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]، فأباح التزيي لدفع الضرر، ولبس الخرقة للتميز من ذلك، وللدخول في جماعة القوم بالتشبه، لكن شرط هذا اجتناب الكبائر وصغائر الخسة، وما يرضاه ذوو الهمم الدنية، ثم المتشبه والمستند؛ إما محب فجزاؤه أن يحترم، فتوضع له الحرمة في القلوب، فلا يراه أحد إلا احترمه وعظَّمه، وإما طالب فجزاؤه أن ينصح ويعان فيتيسر له الخيرات، وتصرف عنه الشرور الدنية على قدر الفيض، والقصد، والهمة في جميع ذلك، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

وشرط التشيخ الذي يستند عليه أن ينصح الجميع بما أمكنه، فيدلهم على التقوى والاستقامة، وينهاهم عن المنكر والملامة، ويدعو لمن قبل منهم بالثبات، ويعلمه ما أمكنه من أمر دينه، ويشفق عليه في دنياه، ويدعو لمن وقع له عزوب عن الباطل بالتوفيق، ويجتهد في ذلك بما يجتهد به لنفسه؛ لأن من قصد قومًا وقع حقه عليهم، وينظر لكافة خلق الله بعين الرحمة كما قيل:

ارحمْ بني جميعَ الخلقِ كُلهم ... وانظرْ إليهم بعينِ اللُّطفِ والشَّفقِ

وقِّرْ كبيرهم وارحمْ صغيرهم ... وراعِ فِي كُلِّ خلقٍ حقَّ مَنْ خَلقه[1]

والتشبه في الأخلاق من حقائق الطريق، وفي الأعمال إن كان بلا ترخيص،

---

(١) البيتان لمحمد بن القاسم المعروف بأبي المناقب كما في «معجم الأدباء» ص (٤٨٤٠).

فكذلك، وإن كان في رخص الطريق شرطه فيكون فقيهًا معمرًا غايته الكراهة، وإن كان مع الخروج مع شرطه، فقد يكون حرامًا لتحريف الحق، واتباع ما لا علم له به، وقد ذكر صاحب «المباحث الأصلية»(١) فصلاً يحتاج إليه كل مؤمن صادق، فيجب نظره، والعمل به على كل مريد، بل كل مؤمن يخاف الله ويرجوه، وبالله التوفيق.

الفصل الثالث

في وجه التشبه في الأعمال

وأصل ذلك كله حفظ مرام التقوى الذي هو فعل الواجبات المعلومات، وترك المحرمات المشهورة، ثم الاستقامة التي هي التخلق بالكمالات، والتحقق بالحالات فيترك العيوب، ويجتنب الذنوب، ويبادر بفعل المندوب، وليس له سبيل إلى ذلك إلا بثلاثة: إقامة الأوراد، واتباع المراد، وإيثار السداد؛ فالأوراد: تعمير الأوقات بالعبادات التي هي الغدوة للتحصيل، والسحر وقت المناجاة، وذكر ما بعد الصبح مفتاح الطاعات، وما بعد العصر للاستغفار من المواقعات، والمعتدل من أوراد الصلاة خمسون ركعة بين الفرض والسنة؛ ففي الضحى ستًّا، وقبل الظهر أربعًا، وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعًا، وبعد المغرب ركعتين، ومن الليل ثلاث عشرة أولهن ركعتين خفيفتين، وآخرهن الشفع والوتر ما تركهما - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ - في حضر ولا في سفر، وإنما اقتصر على سبع أو زاد إلى سبعة عشر؛ أولهن الظهر، وآخرهن الصبح، وقد صحَّ بالترغيب في الذكر إدبار الصلوات، وبعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وقبل الغروب إليه، والسنة في ذلك معلومة مشهورة، وأنواعها كثيرة، وليختم الآن بذكر بعضها مستعينًا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) هي للشيخ ابن البنا السرقسطي، وقد شرحها الشيخ ابن عجيبة بالفتوحات الإلهية، مطبوع.

تكملة وتتميم

أول ما اعتنى به الصادق مع الله اتباع السنة، وشهود المنة، وتجنب العيب والبدعة، فإذا استيقظ من منامه؛ فليقل: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور»[١].

و«أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله رب العالمين، اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه، ونصره ونوره، وبركته، وهداه، ونعوذ بك من شرِّ هذا اليوم، وشرِّ ما فيه، وشرِّ ما بعده»[٢].

ثم إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم -ثلاثًا- فإنها كفاية، وهداية، ووقاية»[٣].

ويقول: «بسم الله عند دخول الخلاء؛ فإنها ستر بين الجن وعورات بني آدم»[٤].

فإذا توضأ قال: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي»[٥] بين ظهراني وضوئه وعند انتهائه بعد قوله آخره: «أشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، ويختم: بسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا اله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

وعند دخول المسجد يقول: «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنبي، وافتح لي أبواب رحمتك»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٢٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٣).
(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٤).
(٣) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤/ ٣٧٣).
(٤) رواه الترمذي (٢/ ٥٠٣).
(٥) رواه النسائي (٦/ ٢٤)، وأحمد (٤/ ٦٣).
(٦) رواه مسلم (١/ ٤٩٤).

ويدخل بيمينه، ويخرج بشماله عكس بيت الخلاء بخلاف المنزل؛ فإنه باليمين فيهما، ويقرأ في ركعتي الفجر بـ«الفاتحة»، «وقل يا أيها الكافرون»، «وقل هو الله أحد».

ثم يقول أثره: «اللهم إني أسألك بوجهك الكريم، عافيتك وتمام نعمتك، ثلاثًا، اللهم اجعل لي نورًا في قلبي، ونورًا في قبري، ونورًا في سمعي، ونورًا في بصري، ونورًا في شعري، ونورًا في بشري، ونورًا في لحمي، ونورًا في عظامي، ونورًا بين يدي، ونورًا من خلفي، ونورًا عن يميني، ونورًا عن شمالي، ونورًا من فوقي، ونورًا من تحتي، اللهم زدني نورًا، وأعطني نورًا، واجعل لي نورًا».

وبعد صلاة الصبح يستغفر الله ثلاثًا ثم يقول: «اللهم أنت السلام منك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» مرة.

ثم يقول: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر» ثلاثًا وثلاثين، ويختم المئة بـ«لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا رادَّ لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» مرة.

ثم يدعو بما تيسر له، ويقرأ آية الكرسي، والإخلاص، والمعوذتين، وكذا في دُبر كل صلاة، ويختم ذلك بـ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢][1].

---

(١) (العزة): هي القوة والغلبة، وإضافة الرب إليها لاختصاصها به، إذ لا عزة إلا له أو لمن أعزه، وقوله تعالى: (عما يصفون) أي: من الولد والصاحبة والشريك.
وقوله جلَّ جلاله: (وسلام على المرسلين)، عم الرسل بالتسليم إرشادًا لنا كيف نسلم عليهم.
وقد روي عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «إذا سلمتم عليَّ، فسلموا على المرسلين، فإنما أنا رسول من المرسلين أخوهم»، صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين.
وقوله سبحانه: «والحمد لله رب العالمين» أي: على ما أفاض عليهم أجمعين، وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة؛ ولذلك أخره عن التسليم، والمراد: تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله.

ويختص الصبح والمغرب بزيادة: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو رب العرش العظيم» عشرًا، «اللهم صلِّ على محمد وعلى آله» عشرًا.

ثم يلازم محله للذكر إلى طلوع الشمس أو قرب طلوعها، ومما يذكر في ذلك الوقت، قل هو الله أحد، والمعوذتين، ثلاثًا صباحًا، وثلاثًا مساءً؛ تكفيك من كلِّ شيء.

«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ثلاثًا مساءً وصباحًا؛ لم تضره حية -أي: ذات سم- وهو أمان للمسافر إذا قالها عند نزله في السفر؛ لم يضره شيء حتى يرتحل.

ويقول: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم»(١) ثلاثًا صباحًا، وثلاثًا مساءً؛ لم تصبه فجأة بلاء.

---

(١) قوله: (بسم الله) يحتمل قوله: (الله): الذات المعظمة أي: اسم الله أي: اسم كان من أسمائه الحسنى، إذا ذكر كان دافعًا للضرر، فالسميع العليم راجعان لمدار اسم الله تعالى، ويحتمل أن يراد الاسم الخاص الذي هو الله، أي: ذكره محصل لهذا النفع والإضافة على حد قول الشاعر: «ثم اسم السلام عليكما»، والضمير والصفتان عائدة إليه على أن الاسم هو المسمى، أوعائدة إلى الله تعالى لدلالة الكلام عليه، ويحتمل أن يكون المعنى بسم الله الذي إذا ذكر يكون هذا الأمر وعين الاسم غير مذكور هنا، فيكون كما يقال: أسألك بالاسم الأعظم، ويحتمل أن يكون الاسم هو الله، ولهذا الاسم خواص عظمى لكن على حسب حضور الذاكر وتوجهه وقراءاته بذكر ما قاله الإمام الباخلي في «شرحه على حزب البحر» باختصار.

وقوله: (مع اسمه): يحتمل أن يكون المراد مع المصاحبة للذكر، أي: مع ذكر اسمه، ويحتمل غير ذلك، والذكر له اعتبارات منها ذكر اللسان، وذكر القلب، ونفي المضرة يحتمل الدينية أو الدنيوية أو هما معًا، وقيل المراد: كون التحصن والتعوذ بالله تعالى من شر شيء ما يعلم مضرة ذلك الشيء المتعوذ منه، على أن صدق القضية لا يتوقف على نفي جميع ما يصدق عليه مطلق الضرر، فقد قال السحرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم: ﴿لَا ضَيْرَ﴾، فنفوا على سبيل الاستغراق، وذلك صحيح، وهو مع حصول ما توعدهم به؛ لأنه كل شيء في جنب ما فازوا به من رضوان الله عز وجل، قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: لا توكيد للنفي، وقوله: ﴿وَهُوَ

«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» ثلاثًا مع ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، إنْ قالها مساءً؛ حفظ حتى يمسي»(١).

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لا يخفى ما في الختم بهذين الاسمين الكريمين من مناسبة المقام، فهو تعالى السميع لذاكر اسمه العليم، باعتقاده وتوكله عليه.

وعن عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء... إلخ ثلاث مرات، فيضره شيء» عام في نفي الضرر مطلقًا أي: لا يضره شيء، وشيء نكرة في سياق النفي، وكذلك الفعل في سياق النفي عام، والفاء جواب للنفي المتقدم، أي: الضرر منتف عند وجود القول، أي: لا يجتمعان، فالوجه إذن نصب فيضره؛ لأن المعنى عليه، وهذا مثل ما ذكره -رحمه الله تعالى- في الكتاب في مسألة ما تأتينا، فتحدثنا على أحد وجهي النصب، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦]، انتهى.

ثم قال أيضًا: فينبغي للمؤمن أن يلزم هذا الذكر صباحًا ومساءً؛ لتحصل له هذه البركة العظيمة، ودفع الضرر عنه، وله مع ذلك الثواب على الذكر؛ لأنه ذكر الله تعالى فيثاب عليه، وله أيضًا بركة متابعة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وامتثال أمره، وكل ذلك خيرات وفضل من الله تعالى عظيم، انتهى.

وفي قواعد الشيخ زَرُّوق - رضي الله تعالى عنه: قاعدة استراق النفوس لملائمها طبعًا بما فيه نفع ديني مشروع، فمن ثم رغب في أذكار وعبادات لأمور دنيوية، كقراءة سورة الواقعة لدفع الفاقة، وبسم الله الذي لا يضر... إلخ لصرف البلايا المفاجئة، وأعوذ بكلمات الله.. إلخ لصرف شر ذوات السموم وللحفظ في المنزل، إلى غير ذلك من أذكار صرف السموم والديون والإعانة على أسبابه كالغنى والعز ونحوه، بيان ذلك: أنها إن أفادت غير ما قصدت له كان داعيا لها، ثم حبها داع لحب من جاء بها، ومن نسبت له أصلاً وفرعًا، فهي مؤدية لحب الله، وإن لم تفد ما قصدت له، فاللطف موجود بها ولا أقل من حصول أنس النفس بذكر الحق ودخول ذلك من حيث الطباع أيسر، وإلا فالأفضل ألا تجعل الأذكار والعبادات سلمًا للأغراض الدنيوية إجلالاً لها، والله أعلم.

(١) والآيات هي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

«سبحان الله العظيم وبحمده» ثلاثًا بعد صلاة الصبح، وثلاثًا بعد صلاة المغرب؛ أمانٌ من البَرص، والجُذام، والجنون، والفَالج[١].

«سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»[٢] ثلاثًا

---

(١) هو مرض كالرعشة والخدر والصرع، ومنه ما يعرض فيه ميل الرقبة والرأس إلى خلف.

(٢) قوله: (سبحان): اسم مصدر، وقيل: سمع له ثلاثي، فهو مصدر، وهو لازم الإضافة، وقد يفرد غير متصرف لتعريف علمية الجنس والزيادة.

قال النضر بن شميل: (سبحان الله): معناه السرعة إليه والخفة في طاعته، وسبوحة بفتح السين: البلد الحرام، وسباح: علم لأرض ملساء عند معدن بني سليم، وسبحات الله: وجه أنواره، والسبحة أيضًا: الجري، وأيضًا: صلاة التطوع، انتهى. وقيل: معناه تنزيهًا لله عن الصاحبة والولد وتبرئة السوء. وروى الحاكم أن: «طلحة بن عبيد الله سأل رسول الله – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – عن معنى سبحان الله، فقال تنزيه الله عن كل سوء». وروى ابن أبي حاتم عن علي – كرَّم الله وجهه– أنه قال: «سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها، وأحب أن تقال».

وقوله: (وبحمده) قيل: الواو للحال، وهي للمعية، أي: أسبح متلبسًا بالحمد من أجل توظيفه التسبيح، وقيل: هي عطف جملة على أخرى، والتقدير: وبحمده سبحته، وقيل: زائدة، وهي جملة أي: مقترنة بحمده، فالحال مفردة، وقيل: الباء للاستعانة، والحمد مضاف للفاعل أي: سبحته بما حمد به نفسه، إذ ليس كل تنزيه محمودًا، فتنزيه المعتزلة قبَّحهم الله تعطيل الصفات.

وعن الخطابي: وبمعونتك التي هي نعمة، توجب على حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي، فأقيم المسبب وهو الحمد، مقام السبب وهو المعونة.

وقوله: (عدد خلقك.. إلخ) قال السيوطي: هذه الكلمات الأربع، منصوبات على الظرف على أن التقدير قدر عدد خلقه، وكذا الباقي، فلما حذف الظرف الذي هو قدر، أقيم المضاف إليه مقامه في إعرابه، أي: عدد خلقه من جماد وحيوان ما تقدم من ذلك، وما تأخر، وما وجد، وما عدم بكل وجه يمكن عددها به. وقوله: (ورضا نفسه) أي: ذاته، ويقال ذات الشيء، ونفسه وعينه، وماهيته وكنهه وحقيقته، كلها بمعنى واحد، ورضا معطوف على عدد، أي: فيما يرضيه من الثناء. وقوله: (وزنة عرشه) بكسر الزاي: هي ثقل الشيء أي: هذا التسبيح توازن لو قدر أجسامًا ثقيلة الوزن، وهو عرشه سبحانه، وهو خلق عظيم لا يعلم قدر عظمته، ووزانة ثقله أحد غير الله سبحانه. وقوله: (ومداد كلماته) هو بكسر الميم أي: ما يكتب به وقال في «المشارق» أي: قدرها، وقال الخطابي: هو مصدر يقال: مددت الشيء أمده مدًّا ومدادًا، وقال الحارث: يجمعون المد مدادًا، وعلى هذا يكون معناه المكيال، وكلمات الله لا تنتهي إلى حد، ولكنه ضرب به المثل في الكثرة والوفور؛ لأن الكلام لا يدخل في الكيل والوزن، بل في العدد، وكأنه قال =

له فضل كثير.

«سُبحانك اللّهم وَبِحَمدِكَ، نَشْهَدُ أَن لا إِلهَ إِلا أَنتَ، أَستَغفِرُكَ، وَأَتوبُ إِليكَ»؛ كفارة للمجلس وبركته.

«أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه» ثلاثًا صباحًا، وثلاثًا مساءً؛ كفارة لذنبه يومه وليلته.

«اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلِّم» ثلاثًا، وهذا عند محبة رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وشرفه إليه، وذلك له شفاعته، وقد ورد هذا كله في الأحاديث المقبولة مع أذكار أُخر قد جمعناها في وظيفة(١) لأصحابنا، وذكرنا مستمدها حينئذٍ في تعليق لنا.

ثم إن اتسع الوقت؛ فليقل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» مائة؛ لأنها غفران وزيادة، ودرجات، ولم يأت أحد مثل ما عمل، ويوقى كل شر، وكذلك: «سبحان الله وبحمده» مائة.

وكذلك وكل صحيح والباقيات الصالحات: «سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» إنْ ذكرها مائة أضاف التسبيح الأول للثاني،

وكماله لا يحصيه أحد كما لا تحصى كلمات الله -عز وجل- وفي تحصيل مثل الذكر الجامع لذلك القدر الذي دل عليه لفظه مع تضعيفه أو دونه أو لغوة أقوال، وصح التضعيف كما ذكره الشيخ زَرُّوق في «القواعد».

وقال أيضًا في شرحه على «الحكم»: قال في تاج العروس: من قصر عمره فليذكر الأذكار الجامعة مثل «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» ونحو ذلك؛ ليستدرك ما فاته بذلك، إذ قد صح أن له أعظم من ثواب من أفرد، وقد اختلف هل يكتب له العدد المذكور بالتضعيف، وهو الأولى بالكرم، أو إنما تكتب له دون تضعيف، وهو الظاهر في الاعتبار، وقد يقال إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فالذي يمنعه العجز والضرر، ليس كالذي يمنعه الشغل والعمل، والذي يمنعه ذلك، ليس كالمؤثر لذلك على نعمة الغفلة المجردة، فاعرف ذلك، انتهى.

(١) هي الوظيفة الزروقية: «سفينة النجا لمن أراد الالتجا».

فكان الجميع ثلاثًا في السورة، وثمانية بالحقيقة يزيد لها الاستغفار مائة، والصلاة على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – مائة يكون ألفًا، يدعو بما تيسر له، ويتلو من القرآن ما قدر له، ويجعل أوقاته كلها لله مِن أي وجه كان، لا يهمل طلب العلم، ويتحرى في الحلال، ويترك ما لا يمني؛ فإنها الأصل، فليقرأ عند نومه الإخلاص والمعوذتين بعد قوله: «باسمك اللهم وضعت جنبي، وباسمك أرفعه، اللهم إن أمسكت نفسي؛ فاغفر لها، وإن أرسلتها؛ فاحفظها بما تحفظ به الصالحين من عبادك».

ويقول: «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه»(١)

---

(١) قوله: (الحي القيوم): يجوز نصبها على الصفة، أو بدل والرفع بدلاً من الضمير، أو خبر مبتدأ محذوف على المدح، قاله الطيبي. وعن ابن مسعود –رضي الله تعالى عنه– أنه قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فرَّ من الزحف»، رواه الترمذي، وأبو داود.
قوله: فر أي: هرب، والزحف: هو الجيش، يزحفون إلى العدو أي: يمشون إليه، قاله في «تحفة العباد». وعن الربيع بن خيثم أنه قال: لا يقل أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبًا أو كذبًا أن يفعل، بل يقول الله اغفر لي وتب علي، قال الإمام النووي: هذا الذي قاله: «من قال اللهم اغفر لي وتب علي» حسن.
وأما كراهة أستغفر الله وتسميته كذبًا فلا يوافق عليه؛ لأن معنى أستغفر الله، أطلب مغفرته وليس في هذا كذب، ويكفي في رده حديث ابن مسعود المذكور قبله، وقال ابن حجر بعد ذكره كلام النووي: هذا جائز في لفظ أستغفر الله، أما أتوب إليه فهو الذي عنى الربيع –رحمه الله تعالى– في أنه كذب، وهو كذلك إذا قال فلم يفعل التوبة كما قال. وفي الاستدلال والرد عليه بحديث ابن مسعود نظر لجواز أن يكون المراد منه، فإذا قالها وفعل شروط التوبة، انتهى.
وقال بعضهم: التخصيص بالعدد يشعر بأن الفضل المذكور ترتب على القول المذكور، فإن التوبة لو حصلت وقصدت لم تتوقف على عدد، وهذه المسألة طويلة الذيل منتشرة المباحث، لا يسع هذا الموضع ذكر ذلك.
قال سيدنا الشيخ ابن العربي: والحق أن لكل مذنب أن يستغفر، وإن علم من نفسه أنه مصر. وفي الحديث: «إذا أذنب العبد ثم استغفر الله، قال الله تعالى: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب قد غفرت له»، ولم يذكر توبة، فدل على أن التوبة منزلة أخرى زائدة عليها عالية. وعن أبي سعيد – رضي الله تعالى عنه– عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال أستغفر الله ... إلخ ثلاثًا،

ثلاثًا؛ فقد صحَّ تغفر ذنوبه، وإن كان مثل زبد البحر، ورمل عالج، وورق الأشجار، وعدد أيام الدنيا.

وإذا تعار من الليل أي: انتبه؛ فليقل: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»؛ فإنه إن دعا؛ استجيب له، وإن استغفر؛ غُفِرَ له، وإنْ صلى؛ قُبِلَت صلاته، كذا صحَّ عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأساس الخير كله ثلاثة: خشية الله في السر والعلانية، والرضا عن الله بالقليل والكثير، ومحاسنة الخلق في الإقبال والإدبار؛ فقد قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

وقال الشيخ أبو الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «اجعل التقوى وطنك، ثم لا يضرك مرح النفس ما لم ترض بالعيب، أو تصر على الذنب، أو تسقط منك الخشية بالغيب.

واعلم أن البلاء كله مجموع في ثلاثة: خوف الخلق، وهم الرزق، والرضا عن النفس، والعافية والخيرات مجموعة في ثلاثة: الثقة بالله في كلِّ شيء، والرضا عن الله بكلِّ حال، واتقاء شرور الناس ما أمكن؛ فمن وثق بالله لم يعتبر بغيره في إقبال ولا

-

غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، وعدد ورق الشجر، وعدد رمل عالج، وعدد أيام الدنيا». وعن أنس –رضي الله تعالى عنه– عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– قال: «من قال صبيحة يوم الجمعة أستغفر الله .. إلخ ثلاث مرات، غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر». الزبد بفتح الزاي فبموحدة: ما يجمعه من غثاء ونحوه مما يسود ويبلى من الورق، وغيرها، انتهى.

(١) رواه الترمذي (٤/ ٣٥٥).

إدبار، ولا ينظر لسواه في نفع ولا إضرار، ومن رضي عنه الله؛ لم يحزن على ما فات، ولا يفرح بآت، ولم ينظر لمستقبل ولا ماض، ومن اتقى شرور الناس؛ كفَّ شره عنهم فكفي شرورهم.

وقد قال الشيخ أبو الحسن - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «أوصاني حبيبي؛ فقال: «لا تنقل قدمك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبًا على معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينًا، وقليل ما هم».

وقال أيضًا -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «أوصاني أستاذي؛ فقال: الله الله والناس، نزِّه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عليك عندك؛ فلا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك، وقد تم ورعك، وقال: اللهم ارحني من ذكرهم، ومن العوارض من قبلهم، ونجني من شرهم، وأغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير.

وقال - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: يئست من نفع نفسي لنفسي؛ فكيف لا أيأس من نفع غيري لها؟ ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي؟».

وقال - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- لما سُئل عن الكيمياء: «اقطع طمعك من الله أن يعطيك غير ما قسم لك، ومن الخلق أن ينفعوك أو يضروك!

قلت: ولا يتحصل هذا الأمر إلا بأن ترى أن ليس في الوجود إلا أنت، وربك فتدع الخلق، وما دفعوا إليك، وتعمل أبدًا على خلاصك بين يديه».

فقد سُئِلَ الجنيد - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى! قال: بتوبة تزيل الإصرار، وخوف يزيل التسويف، ورجاء يبعث على مسالك العمل، وإهانة النفس بقربها من الأجل، وبعدها من الأمل، قيل له: بماذا يصل العبد إلى هذا قال: بقلب مفرد فيه توحيد مجرد»[1].

(١) انظر النص بنحوه في: الحلية (١٠/ ٢٦٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٦٤)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٤٦).

وقال - رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «من أشار إلى الحق، وتعلق بالخلق أحوجه إليهم، ونزع الرحمة من قلوبهم عليه»[١].

وسُئل - رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - عن العلم النافع؛ فقال: «هو أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك»[٢].

وقال - رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «لست استبشع ما يرد على العالم؛ لأني أصلت أصلاً، وهو العلم كله شر فمن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره، فإن تلقاني بكل ما أحب فهو فضل، وإلا فالأصل هو الأول»[٣]، وبهذا الأصل يحذر الناس، ويحترس منهم في عين حسن الظن بهم، والله أعلم.

❁❁❁

(١) انظر: الطبقات الشعرانية (١/ ٧٢).

(٢) النص بنحوه في كتابنا: الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص٣٠٧).

(٣) انظر: الحلية (١٠/ ٢٧٠).

تنبيه لأمور مهمة يحتاج إليها

أهل الانتساب والاكتساب من ذوي التجريد والأسباب

اعلم -وفقنا الله وإياك- أن اتقاء الشر والفتنة، ومعرفة الزمان وأهله آكد كل أمر، ومفتاح كل خيرٍ وبِرٍّ، وقد قال حذيفة - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ [مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟](١) قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ».

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، [قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»](٢)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَلاَ إِمَامٌ، قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ على أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يأتيك المَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٣) أخرجه البخاري وغيره.

والمراد بالجماعة ما عليه جمهور أهل السنة وعلماؤهم العاملون، وهو طريق الجادة، وظاهر السنة التي لا يشك في حقيقتها إلا مخذول أو مرذول، ومدارها على ثلاثة: ترك الذنوب بالتقوى والتوبة، ثم لزوم الاستقامة بل الاتباع والتحفظ، ثم الفرار من العيوب بأي وجه كان.

---

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من الحديث.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من الحديث.

(٣) رواه البخاري (١٢/ ٣٥٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٥).

وقد تأملتُ ما عَمَّت به البلوى في هذا الزمان لفقراء الوقت وفقهائه فإذا هو عشرة أشياء:

أولها: المصارعة إلى النوافل والخيرات، والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات؛ فتجد الواحد منهم يقوم الليل كله، ويتكاسل عن إقامة الفرض على وجهه، ويتحفظ على صلاة الضحى ونحوها، ويستخف بتأخير الصلاة لآخر وقتها، ويتصدق بكل الدراهم ولا يعطي الزكاة لمستحقها، ويكثر الصوم طلبًا لفضله، ويطلق لسانه في أعراض المسلمين من غير توقف، كذلك كله من اتباع الهوى ومفارقة الصدق.

قال ابن عطاء الله في «الحِكَم»: «**مِنْ عَلامَات اتِّبَاعِ الهَوى المُسَارَعةُ إلى نَوافِلِ الخَيْرَاتِ، والتَّكَاسُلُ عَنِ القيامِ بالواجباتِ**»(١).

وقال محمد بن الوردي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: هلاك الخلق في أمرين: اشتغال بنافلة، وإهمال فريضة، وعمل جوارح بلا مواطأة القلب، والله تعالى لا يقبل عملاً إلا بالصدق، وموافقة الحق، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]، ومن ذلك الاكتفاء بالتوبة عن ردِّ المظالم، وأداء الحقوق، وعدم تصحيح العمل كما هو شأن كثير من الجهال، وبالله التوفيق.

---

(١) قال الشيخ الشرقاوي: فهذا من الصور الذي يخف فيها الباطل ويثقل فيها الحق، وإنما كانت النوافل قد تخف على النفس دون الفرائض؛ لأن العادة أنه لا مزية في القيام بالفرائض لاستواء الناس كلهم فيها بخلاف النوافل، فإنها تذكر بها ويحصل لها بها قربة وجاه ومنزلة في القلوب، وهذا هو حال أكثر الناس فتجد الواحد منهم إذا اعتقد التوبة أي: صمم عليها لا همة له إلا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي إلى بيت الله الحرام، وما أشبه هذا من النوافل، ومع ذلك هو غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات، وما ذاك إلا لأنهم لم يشتغلوا برياضات نفوسهم التي خدمتهم، ولم يعتنوا بمجاهدة أهوائهم التي أسرتهم وملكتهم.

الثاني: شأن المريدين في بدايتهم، والمتوجهين في توجهاتهم، تتبع الفضائل والأخذ بالغرائب، والاعتناء بالفضائل العامة، وكل هذه مواقف الفتن والمحن، فإن تتبع الفضائل مدهش للنفس، مشتت للقلب، مؤدي للفترة والكسل، موقع في البدع والأمور الجارفة عن الحق، فدع الغريب وما يريب، وعليك باتباع الجادة، وهي ما له أصل صحيح ومادة، ودع الخلق وما دفعوا المراد فيه الحق أنهم ما هم عليه، وما رأيت إلا وقع في الفضائل العامة الإخراج لكثير من المحرمات كالقيام على الأمراء، وتفريق كلمة المعلمين، ولا من أخذ بغرائب إلا وقع في مهاوي الفتنة، ولا من تتبع الفضائل على الجملة إلا وقع في شبهة البدعة التي منها العمل بالموضوعات.

قال الشيخ أبو عبد الله البلالي[1] - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «وتحرم رواية الموضوع إلا مبينًا، والعمل به مطلقًا، ومنه صلاة الغرائب والأسبوع».

وما يروى عن أُبي بن كعب في فضائل السور سورة سورة، وأخطأ من ذكره من المفسرين، انتهى.

الثالث: الغالب على الصادقين، وفي هذا الزمان إلا من عصم الله ثلاثة أمور: الاغترار بكل ناعق، واتباع الوسواس، والتعمل والتعزز بالطريق.

فأما الاغترار: فمن الجهل بالزمان وأهله، وهو مؤدٍّ إلى الضلال.

---

(١) هو سيدي محمد بن علي العجلوني، ثم القاهري الشافعي، المعروف بالبلالي.
ولد في الأربعين والسبعمائة، انتفع به الناس وأقبلوا عليه، سيما المغاربة. وانتشر صيته وعم نفعه، ورحل إليه من الأقطار، وكان يكاد أن يحفظ الإحياء. وصنف مصنفات كثيرة، واختصر الإحياء اختصارًا جيدًا، بحيث إنه قيل نسبته لأصله، كالحاوي للرافعي، والسول في أحاديث الرسول، واختصر الروضة، والشفا، وعمل مختصرًا في الفقه جامعًا، وطار اسمه في الآفاق بسبب مختصر الإحياء، ورحل إليه لأخذه عنه. وكانت له مقامات وخوارق وكرامات، ومنها أن تمراز نائب غيبة، لما عزله من مشيخة الخانقاه، لم يمض إلا عشرة أيام وقبض عليه. ولم يزل على حاله من التواضع، وطرح النفس، وبذله لما في يده، مع كثرة الحياء والعبادة والتلاوة والذكر وسلامة الباطن، إلى أن مات في شوال سنة عشرين وثمانمائة، عن نحو سبعين سنة. ودفن بمقابر الصوفية، وصلى عليه الحافظ ابن حجر، في جمع حافل. [الكواكب الدرية للمناوي ٧٢٥] بتحقيقنا.

وأما اتباع الوسواس: فقال الشيخ أبو عبد الله البلالي- رحمه الله: الوسوسة بدعة أصلها الجهل بالسنة، وخبال العقل يدفعها التلهي عنها مع دوام قوله سبحان الله الملك الخلاق:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝﴾ [إبراهيم:١٩، ٢٠].

وأما التعزز بالطريق: فمن الحمق والجهل بالطريق؛ إذ الطريق بنيت على الذل والتذلل حتى يأتيهم الله بعزٍّ من عنده، وعلى الفقر حتى يأتيهم بالغنى من غير التفات ولا إشراف، والفقير أبدًا ملكه مباح، ودمه هدر اكتفاءً بالله، ونظرًا إليه، بل يفرح بالذل والفقر كما كان حال السلف -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُم- وينظرون إلى كافة خلق الله بعين الرحمة، فلا يعتبون أحدًا، ولا يلومونه فضلاً عن أن ينتقموا منه أو يتعززوا عليه.

ولذلك قال سهل بن عبد الله(١) - رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ: طريقنا هذه لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل.

وقال الشبلي(٢) - رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ: لما صحَّ عندهم أن النفس مجبولة على المجوسية المحضة لم يصح منهم انتصارًا لها؛ لأنه لا يقتل مؤمن بكافر، انتهى، والنقل في هذا الباب كثير يخرج بنا عن غرض الكتاب؛ فانظره، وبالله التوفيق.

الرابع: قد أولع كثير من فقراء الوقت بعلوم الأسرار، ودقائق الأذواق، ورقيق

(١) هو سيدي سهل بن عبد الله التستري الشيخ الأمين، الناصح المكين، الناطق بالعقل الرصين، من أعاظم المشايخ والمشهورين، ولم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله وأطلعه على عدد مريديه وأسمائهم وأنسابهم، ومن يفتح عليه منهم ومن يموت قبل الفتح.

وكان أوحد زمانه في علوم الرياضات، صَحِبَ خاله محمد بن سوار، ولقي ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة، وهو ابن عشر فيحسن الإجابة. وكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يومًا.

(٢) دُلف بن جَحدر أبو بكر الشبلي قيل: اسمه جعفر بن يونس، حكاه السلمي وقيل غير ذلك، إمام اشتهر شرفه وسمت في جنان المعرفة غرفه، وأضاء كوكب زهده وديانته، ونما فرع ورعه وصيانته، وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ، كان وليًا بنهاوند، وبالبصرة، مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن سبع وثمانين سنة ودفن بمقبرة الخيزران.

الرابع: قد أولع كثير من فقراء الوقت بعلوم الأسرار، ودقائق الأذواق، ورقيق كلام القوم دون اعتناء بأحكام العبودية، وآداب الربوبية، فانصرفوا عن المراد، وفارقوا موجبات الوداد، وحصل لهم التعويق في عين ادعاء السداد.

ومنهم من تسري فيه لذة فهم كلام فيظنه ذوقًا، وربما ادعاه حالاً لنفسه، فكان طردًا؛ فحق الصادق أن يشتغل بما به كماله من التخلق، والتعلق، والتحقيق مع الإعراض عن الأغراض.

قال – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – في «الحِكم»: «**تَشَوُّفُكَ إلى ما بَطَنَ فيكَ من العيوب خيرٌ من تشوُّفُكَ إلى ما حُجِبَ عنك من الغيوبِ**»(١).

وقد قالوا: إذا تكلم المريد في مقام لم يبلغه حاله حرم منازلته، إذ صار فيه صاحب علم، ثم لا يأمن ضلاله به أو بتيهه في بعض رموزه، إن كان يريد أخذه من

---

(١) قال الشيخ ابن عجيبة: تشوفك أيها الإنسان إلى ما بطن فيك من العيوب كالحسد والكبر وحب الجاه والرياسة وهَم الرزق وخوف الفقر وطلب الخصوصية وغير ذلك من العيوب والبحث عنها والسعي في التخلص منها أفضل من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب كالاطلاع على أسرار العباد وما يأتي به القدر من الوقائع المستقبلة وكالاطلاع على أسرار غوامض التوحيد قبل الأهلية له لأن تشوفك إلى ما بطن من العيوب سبب في حياة قلبك وحياة قلبك سبب في الحياة الدائمة والنعيم المقيم والاطلاع على الغيوب إنما هو فضول وقد يكون سببًا في هلاك النفس كاتصافها بالكبر ورؤية المزية على الناس.

اعلم أن العيوب ثلاثة: عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح؛ فعيوب النفس: تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن والمناكح وشبه ذلك.

وعيوب القلب: تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه الرياسة والعز والكبر والحسد والحقد وحب المنزلة والخصوصية وشبه ذلك مما يأتي إن شاء الله في أوصاف البشرية.

وعيوب الروح: تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والقصور والحور وغير ذلك من الحرف. فتشوف المريد إلى شيء من ذلك كله قادح في عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته، فاشتغاله بالبحث عن عيوبه النفسانية والقلبية والروحانية وسعيه في التطهير من جميع ذلك أولى من تشوفه إلى ما حجب عنه من علم الغيوب، كما تقدم وبالله التوفيق.

كلام الناس، ومن أكبر هذا الباب الولوع بعلوم الأسرار من الحروف وأسماء وغيرها، وهي علوم وهب وفتح لم يتكلم فيها أهلها إلا إعانة لمن له فتح، وإفادة لمن له حقيقة، ثم ما رأينا ولا سمعنا من استفاد وأفاد منها حقيقة بمجردها، فيرحم الله الشيخ أبا العباس بن البنَّاء حيث يقول بابن البوني وأشكاله، ووافق خير التاج أمثاله، وكذا الشيخ محيي الدين حيث يقول: علم الحروف علم شريف من علم الوهب، والاشتغال به مذموم دينًا ودُنيا.

وبالجملة فعلوم الوهب كلها محمودة من وجوهها، مذموم طلبها؛ فلا يطلبها إلا جاهل، ولا ينكرها إلا جاهل، فسلِّم تسلم، وتجنب ما سوى الذِّكر تنجو من الشرور، فيا الله ما وجدنا الأسرار إلا في الأذكار، وما وجدناها في غير المعربات من الأسماء لا في المعجميات، بل قد قال مالك لمن سأله عنها: وما يدريك لعلها كفر! نعم يحتاج مستعمل الأذكار إلى اعتبار المناسبة الذاتية، والوقتية، أو الهمة القوية، أو القوة النفسية، وذلك يخفى إلا على ذي همة وبصيرة، والغالب فقده في هذه الأزمنة؛ فعليكم بظاهر الشرع، وظاهر الحقيقة مع طلب الفتح من الله بكنه الهمة، وبالله التوفيق.

الخامس: مما أولع به كثير من مفتقرة العصر بل ومتفقهة طلب العلم الحدثان، والاشتغال بالكنوز والكيمياء، وإيثار صحبة الأمراء، وأرباب الدنيا، وكل ذلك من سوسة حب الدنيا والاشتغال بالفضول، وفراغ القلب من أسباب الفلاح؛ لأن طلب علم الحدثان من التجسس على الله تعالى، فيما يريده من حادث الدهر، وقلَّ أن يسلم المشتغل به من آفة الملوك في غير بواطنهم المؤدي لتلفه، وإن سلم من ذلك، فلا يسلم من دوام بالمنكر واستعجاله؛ لأنه لا يجد من ذلك ما يدله على خير ولا راحة، ويزيد مع ذلك طالبه بعلم النجوم أنه يتزلزل في اعتقاده، أو يتعلق بمكروه من مراده، وأنت تعلم

ما يصحب من التجسس على ملك من ملوك الأرض؛ فكيف من تجسس على ملك الملوك، ولذلك لا تكاد تجد منه مشغولاً بذلك إلا ابتلي بالفقر، والذل، والنكد، وميتة السوء، وكذا طالب علم الأسرار، والكنوز، والكيمياء؛ لأنه يريد إبطال حكمة الله في خلقه بإقامة غرضه، وكذا صحبة أبناء الدنيا وإيثارهم على الفقراء ذل في الحال، وعقوبة في المآل؛ فتجنب الجميع تجد السلامة في دينك، والزيادة في يقينك، وبالله التوفيق.

السادس: إيثار السماع والاجتماع من غير ضرورة ولا انتفاع، وهو من البطالة والتضييع وضعف اليقين؛ فقد قال ابن العريف(١) – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: لم يكن اجتماعهم -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم- إلا لمسألة تفتح أو تقيس بالعبادة تسمح.

قال الشيخ أبو الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: سألت أستاذي عن السماع! فأجابني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات:٦٩، ٧٠].

وقال الشيخ محيي الدين – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: إن أهل السماع والوجد في هذا الزمان قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، فلا يحل لمسلم أن يقول بالسماع في هذا الزمان، فلا يقتدى بشيخ يعمل السماع، ولا يقول به.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – في قوله تعالى:

---

(١) هو شيخ العارف ابن عربي رضي الله عنهما، كان من أكابر الأعيان، ومن أعاظم أهل الشأن، صوفي همى على المريد سحابه، وأنار في أفق الطريق شهابه، وكان يقول في دعائه: اللهم إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ولم تسد باب الولاية، اللهم مهما عينت أعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك فاجعلني ذلك الولي.

قال تلميذه سيدنا ابن عربي -قدس سرهما -: فهذا من المحققين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقًا لهم. [الكواكب الدرية ٤١١].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢]: مَنْ كان مِنْ فقراء هذا الزمان مؤثرًا للسماع آكلاً لأموال الظلمة، ففيه نزعة يهودية؛ لأنه يسمع الحب، وليس بمحب، ويسمع العشق وليس بعاشق، انتهى، على شك في بعض لفظه، وبقيت منه بقية؛ فانظره في «لطائف المنن».

السابع: كثير من الناس يشتغل بالفضول، ويرى نفسه في عمل جميل فنجدهم يقولون: فلان كامل، وفلان ناقص، وفلان في مقام كذا، وفلان حصل على كذا، وفلان قطب، وفلان غوث، وفلان من الأبدال، وكل ذلك من قلة الحياء، وقلة الأدب، والاشتغال بما لا يعني، ويتصف صاحبه بالكذب، والزور، والدعوى، والتعدي، لا سيما إن أضاف إلى ذلك التكذيب ببعض الصادقين، أو دعوى ما ليس له؛ لأنه يصدق عليه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر:٣٢].

وأعظم من ذلك أن يضيف إلى ذلك رؤية نفسه مع اشتغاله بعيوب الناس واغتيابهم، ودخول مداخلهم من طلب أخبار الملوك، وأراجيف الزمان، ووقائع الناس؛ فإنه يحصل على كلِّ شرٍّ وضرٍّ، وأذى كما هو شأن كثير ممن قلَّ فرحه، وهو يرى نفسه من أهل الاختصاص، أعاذنا الله من ذلك، وعافانا منه بمنِّه وكرمه.

الثامن: مَنْ طلب الكمال بالترهات مع التساهل بأمر الدين، فترى أحدهم يطمع في المقامات، ويطلب الفتح باسم الله الأعظم، والانتفاع بصحبة المشايخ ورؤيتهم مع كونه لا ينفك عن محرم، ولا يقيم صلاة، ولا يتحفظ على شيء من أمر دينه، وهذا بمثابة من يطبخ الماء المجمد، ويطمع أن يجد في القدر لحمًا، وإنما جعل الله الشيخ مربيًا لا خالقًا، ومعينًا لا موجدًا.

وقد جاء رجل إلى الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- فقال: يا سيدي وظِّف عليَّ وظائف وأعمالاً أعمل بها! فقال(١): إن الفرائض مشهورة،

---

(١) في الأصل: فقال رسول الله ﷺ، ولعل ما أثبتناه الصواب.

والمحرمات معلومة؛ فكن للفرائض حافظًا، وللمعاصي رافضًا، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا، وحب النساء، انتهى؛ فانظر فإني شاك في ألفاظه، وقد ذكره في القصد إلى الله للشيخ أبي الحسن - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وإنْ لم يكن هو الذي يألفه.

وقال له رجل: يا سيدي استأذنك في مجاهدة نفسي؛ فقال له - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۝٤٤ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

وأصل هذا كله إنما هو الترخص، والتأويل، والجهل، والابتداع في الدين، ومن ثم ضيق المضيق، ووسع الموسع، وكلٌّ مخالف للصراط المستقيم إلا من عصم الله، وقليل ما هم.

وفي الصحيح: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتم من ورائهم، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ [إلا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى]»(١).

قال القاضي أبو بكر بن العربي - رحمه الله تعالى - أشار بجحر الضب إلى أن اتباعهم في الضيق، وهو واضح، وبالله التوفيق.

التاسع: إحداث كيفيات من العمل وغيره، واتباع أهلها، والتبري من ذلك كله بما بان رشده، وداخله الاحتياط لا بغيره، وليس ذلك إلا بتحقيق العلم والعمل وغيره بنصوص الشريعة، واستنباط الأئمة، وقد حذَّر من ذلك أئمة الدين وعلماء المسلمين.

حتى قال القاضي أبو بكر بن العربي(٢) -رحمه الله تعالى: في باب ليلة النصف من

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦٦٩)، وما بين المعكوفتين زيادة من الحديث.

(٢) هو القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن المغربي ويقال ابن العربي القاضي أبو بكر المعافري الإشبيلي الأندلسي ولد سنة ٤٦٨ وتوفي سنة ٥٤٣ هـ. له: أحكام القرآن، الكبرى، والصغرى (بتحقيقنا). والأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا. أنوار الفجر المنير في التفسير ثلاثين مجلدًا. تبيين الصحيح وتعيين الذبيح. ترتيب الرحلة. ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك. تفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل، الناسخ والمنسوخ، وسراج المهتدين، وغير ذلك كثير.

شعبان من كتابه «العارضة»: اعلموا -رحمكم الله- أني أعلمكم أن الله سلط على الخلق بجهلهم بالحق، وحرصهم على الخير قومًا نالوا حرمة العلم، وليسوا من أهله، فأدخلوا على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، وساقها لهم في معرض الشر وطريق الخير، حتى يلحقهم بالأخسرين أعمالاً، وكانوا بذلك من عِباد الشيطان لا من عباد الرحمن، ثم قال: فحذار أن يأخذ العابد إلا بما في كتب الإسلام الخمسة: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي.

وقال في «الموطأ»: أنه روحها وتاجها؛ فانظر ذلك(١).

العاشر: كثير من الناس من يعتقد العصمة في المشايخ، ويعتمد عليهم فيما بينه وبين ربه، ويرى اتباعه في كلِّ أمر كان مباحًا أو غيره، ويعرض عليهم في ارتكاب غير المحرمات، أو يسقيهم من يده بالزلة والزلات، أو يكتفي في المشيخة أو بالعمل في إثبات الحقيقة، أو بالكرامة في الاقتداء بل بالخارق مطلقًا.

ومنهم: من لا يعتقد غير المجاذيب والمجانين.

ومنهم: من يعكس.

ومنهم: من إذا ذُكر أحد قالوا: الله ينفعنا بالصالحين.

ومنهم: من يشيخ الأموات، ولا يرضى بالأحياء.

ومنهم: يعكس.

ومنهم: مَنْ يعتمد حكايات سمعها من الأكابر، فإن لم يجدها ازدرى مَنْ لم تكن عنده.

ومنهم: مَنْ ينظر لنفسه، فإن وجد من يكرمه ويعظمه ويرفق به؛ شهد له بالولاية والعناية، ومَنْ لم يرى منه كرامة، ولا رفق به، ولا أكرمه، ولا رأى منه خارقًا لم يقبله، ولم يقبل عليه بل عامة العامة إنما يريدون من يبذل لهم القدرة أو يكشف لهم الغيب، أو يخالف الحكمة، أو يخرق حرمة الشريعة، أو يستظهر بالصور الشنيعة.

---

(١) قلت: ولم يذكر المصنف: ابن ماجه؛ لخلاف بين المشارقة والمغاربة في أيهم يقدم الموطأ أم ابن ماجه، بالنسبة للكتب الستة، وعلى العموم، فالجمهور على اعتبار الكتب التسعة وتزيد على ما ذُكر: مسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي.

وبالجملة: فقد غلب الهوى على النفوس، وصار الحق تابعًا للهوى، والهوى رماية في عماية، فالعاقل من اعتنى بمعرفة الزمان، وأهله، وترك الفضول لإقباله على شأنه؛ فقد قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – لأبي ثعلبة الخشني: «إذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بخويصة نَفْسِكَ»(١).

ولما سأله أبو ذر – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عما في صحف إبراهيم – عَلَيْهِ السَّلَامُ – أن مما في صحف إبراهيم – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وعلى العاقل أن يكون عارفًا بزمانه ممسكًا للسانه، مقبلاً على شانه، وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين شهواته المباحة، وساعة يفضي بها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوب نفسه، ويدلونه على ربه.

قال الشيخ أبو الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: أوصاني أستاذي –رحمه الله تعالى– فقال: لا تصحب مَنْ يؤثر نفسه عليك؛ فإنه لئيم، ولا مَنْ يؤثرك على نفسه؛ فإنه قلَّ ما يدوم، واصحب من إذا ذكر الله بالله يغني به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب.

قال: وسألت أستاذي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عن قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»(٢)؛ فقال: يعني: دلوهم على الله، ولا تدلوهم على غيره؛ فإن من دلك على الدنيا؛ فقد غشك، ومن دلك على العمل؛ فقد أتعبك، ومن دلك على الله– جلَّ جلاله – فقد نصحك.

والدلالة على الله بثلاثة: الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والإلجاء إلى الله في كل ورد وصد، ورفع الهمة عن الخلق بكل حال؛ فقد قال الشيخ أبو العباس المرسي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: والله ما رأيت العزة إلا في رفع عن المخلوقين.

---

(١) رواه الطبري (٧/ ٩٧).

(٢) رواه البخاري (١/ ٣٨)، ومسلم (٣/ ١٣٥٨).

وقال أيضًا -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: السلامة في الدين برفع الهمة عن المخلوقين.

وقال بشر[١] - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: رأيت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه- في المنام؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبًا للثواب، فقال: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله.

وقال أبو القاسم القشيري - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: وأكبر من ذلك همة العارفين يتلاشى فيها جميع المقدورات فضلاً عن المخلوقات.

قال الشيخ أبو الحسن - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: أربعة آداب إذا خَلا الفقير المتجرد عنها، فاجعلوه والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من نفسه، وترك الانتصار لها، وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب عنها؛ فلا تعبأن به، وإن كان أحدهم أعلم البرية بمجانبة الظَّلمة[٢]، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوي الفاقة، ومواظبة الخمس في الجماعة.

وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لمن استوصاه: «**قل حسبي الله ثم استقم**»[٣].

ثم قال لغيره: «**لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله**»[٤].

وقال لآخر: «**لا تغضب**»[٥].

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمِلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: «**ازْهَدْ**

---

(١) هو سيدنا بشر بن الحارث الحافي: المكتفي بكفاية الكافي، اكتفى فاشتفى.

كان كبير الشأن، عظيم المقدار عليّ المنـزلة، رفيع المنار، لطيف الإشارة، عذب الكلام، طلق العبارة، عديم النظير زهدًا وورعًا وصلاحًا، كثير الحديث، لكنه كره الرواية آخرًا. قال الدارقطني: وهو ثقة، لا يروى إلا حديثًا صحيحًا. وأصله من رؤساء مرو، ثم سكن بغداد وأخذ عن الفضيل، وتلك الطبقة. وانظر: حلية الأولياء (٨/ ٣٣٦-٣٦٠)، والرسالة القشيرية (١٤).

(٢) في الأصل: مجانبة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٦٠٧).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧١).

(٥) رواه البخاري (٥/ ٢٢٦٧).

فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»(١).

وقال: والزهد في الدنيا برودتها عن القلب حتى لا يبالي بها في إقبال ولا إدبار، بل قد جاء في الحديث: لَيْسَ الزهد بِتَحْرِيمِ الْحَلالِ، وَلا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَإنما تكون بما في يَدِ الله أوثَقَ منك بما في يَدَيْكَ»(٢).

قال الشيخ أبو الحسن - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: رأيت الصديق في المنام؛ فقال: «أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجدان الراحة منها عند الفقد».

وقال - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: لأن يغنيك الله عن الدنيا خير لك من أن يغنمك بها؛ فو الله ما استغنى بها أحد قط، وكيف يستغني بها أحد بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

واعلم أن الناس كلهم يعملون في الاستغناء بالأشياء، وهؤلاء القوم كل عملهم في الاستغناء عنها، وبذلك حصل لهم الغنى عن كل شيء في عين الحاجة إليه، وصار طلبهم للأشياء باليأس منها، وملكهم للأشياء بعين تركها، فقد قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ليس الغني عن كثرة العرض؛ إنما الغنى غنى النفس»(٣).

وأنشدوا في معنى ذلك:

اِضرَع إِلى اللهِ لا تَضرَع إِلى النّاسِ وَاقنَع بِيَأسٍ فَإِنَّ العِزَّ في الياسِ
وَاِستَغنِ عَن كُلِّ ذي قُربى وَذي رَحِمٍ إِنَّ الغَنِيَّ مَنِ اِستَغنى عَنِ النّاسِ(٤)

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كنْ في الدُّنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك في الموتى»(٥) الحديث.

وقد علم أن الغريب لا يعمل على القرار، ولا يطالب بالإنصاف؛ فمَنْ عرف

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٧٠)، بنحوه.

(٣) رواه البخاري (٢٠/ ٧٩).

(٤) البيتان من البسيط، وهما لمحمد بن حازم الباهلي في ديوانه ص (٤٠).

(٥) رواه البخاري (٥/ ٢٣٥٨).

غربته في الدنيا نفر عنها، ومَنْ عرف مصرعه عند الموت لم يعتد بشيء منها، ومَنْ عرف وحشته في القبر طلب ما يؤنسه فيه، وليس إلا صالح عمله، ومَنْ عرف وقوفه بين يدي الله استحيا منه أن يراه حيث نهاه، وأن يفقده حيث أمره، ومَنْ عرف الزمان وأهله كف عن معاناته، ومَنْ عرف الخلق، وما هم عليه تركهم، وما دفعوا إليه فلم ينازع أحدًا، ولم يعذل عليه، ولا يتوجه بعتب ولا رد، بل يكف نفسه جملة، ويحاسنهم بها أمكنه، ويحذرهم بغاية جهده كان - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - يحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه.

ويرحم الله ابن عطاء الله حيث يقول في «التنوير»:

لا تَـشتغلْ بالعَتـبِ يومًـا للـورى فيـضيعُ وَقتُـكَ والزَّمـانُ قـصيرُ
وعـلامُ تعتبهم وأَنـت لَهـم مُـصدِّقٌ إنَّ الأمـورَ جَـرى بهـا المقـدورُ
هُـم لَمْ يُوفُـوا الإلـه بحقِّـه أتريـد توفيـةً وأنـتَ حَقـيرُ
فاشـهدْ حقـوقهم عَليـك وقُـمْ بهـا واسـتوفِ مِنـك لهـم وأَنـتَ صَبُورُ
فإِذا فَعلـتَ فأَنـتَ أَنـتَ بِعَـينِ مَـنْ(١) هـو بالخفايـا عَـالمٌ وخبـيرُ

ومن أحسن ما قيل في تفضيل ذلك، والاستعانة عليه قول قائلهم:

إِذا شِـئتَ أنْ تَحيـا ودينُـكَ سـالمٌ وَحظُّـكَ مَوفُـورٌ وَعِرضُـكَ صَـيِّنٌ
لِـسانُكَ لا تَـذكرْ بِـه عَـورةَ امـرئٍ فعنـدكَ عَـورةٌ وَلِلنـاسِ أَلـسُنُ
وَإِنْ أَبـصرتْ عَينـاكَ شَـيئًا فَقُـلْ لَهَـا أَيـا عَـينُ لا تنظـري فَلِلنـاسِ أَعـيُنُ
وَعَاشرْ بِمَعروفٍ وَجانِبْ مَن اعتـدى وَفَـارِقْ وَلَكِـنْ بِـالتي هِـيَ أَحـسَنُ

ومما قيل: العفاف التماسك مما في أيدي الناس، وينسب لإبراهيم الخواص - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ:

---

(١) في التنوير: «وإذا فعلت فاشهد بعين من»، انظر: التنوير في إسقاط التدبير ص (٦٤).

صَبرتُ عَلى بَعضِ الأذى خوف كله وَدَافعتُ عَنْ نَفسِي فَنَفسِي عزتْ
وَجرعتُهَا المكروه حَتَى تَدربتْ وَلو جَرعتُه مرةً لاشمأزتْ
أَيا ربَّ عِزٍّ ساق لِلنفسِ ذلة وَيَا ربُّ نَفسِي بِالتذللِ عَزتْ
إِذا مَا مَددتُ الكَفَّ التمسُ الغِنَى إِلى غيرِ مَنْ قَالَ اسألونِ فَشُلتْ
سَأَصبرُ جَهدِي إنَّ فِي الصَّبرِ عِزةٌ وَأَرضى بِدنياي وَإِنْ هِيَ قَلتْ(١)

ومما أنشده أحد مشايخنا -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- في وصيته لنا، ونسبه لبعض العارفين:

عِشْ خَامِلَ الذِّكرِ بَيْنَ النَّاسِ وارضَ بِهِ فَذاكَ أَسلمُ فِي الدُّنيا وَفِي الدِّينِ
مَنْ عَاشرَ النَّاسَ لَمْ تَسلمْ دِيانتُه وَلَمْ يَزلْ بَينَ تَحريكٍ وَتَسكينِ

وأنشد أيضًا في كتاب أَلَّفه في علوم القوم، وضمَّنه الوصايا النافعة ما نصه:

تَعرَّضْ لِنفحَاتِ الإِلهِ وَبَابِهِ أَدمْ قَرعَه فَالبَابُ يُوشكُ يفتحُ
وإِيَاكَ إِيَاكَ الرِّياسةَ إِنهَا هِيَ الدَّاءُ كُلُّ الدَّاءِ لِلدينِ تَجرحُ
تَواضعْ وَشمِّرْ وَالزمْ البَابَ وَاصطبرْ وَنفسكَ جَاهدهَا عَسى هِيَ تَفلحُ
إلا إِنْ حُبَّ المالِ وَالجاهِ ريبةٌ قَبيحٌ بَأهلِ العِلمِ ذَلكَ أَقبحُ
كَما أَنْ حُبَّ الفَقرِ وَالزُّهدِ زِينةٌ مَليحٌ بَهِيٌّ أَزهَى وَأَبهَى وَأَملحُ
وَلو طَردونِي كُنتُ عَبدًا لعبدِهِم كَبعضِ كلاب فِي المزابلِ تَنبحُ
وَلا قط أَهل الظُّلمِ تَركنْ إِليهم مَع القَومِ تُحشرْ ثُم فِي النَّارِ تُطرحُ

---

(١) الأبيات في «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص (٢٠)، و«التدوين في أخبار قزوين» للرافعي ص (١٠٤٢).

ومن أحسن ما قيل في الانقطاع إلى الله، والفرار مما سواه، وترك كل من دونه ما قاله الشيخ أبو العباس أحمد الرفاعي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ:

فَلَيْتَكَ تَحلو وَالحَياةُ مَريرَةٌ ... وَلَيتَكَ تَرضى وَالأَنامُ غِضابُ
وَلَيتَ الَّذي بَيني وَبَينَكَ عامِرٌ ... وَبَيني وَبَينَ العالَمينَ خَرابُ
إِذا صَحَّ مِنكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّذي فَوقَ التُّرابِ تُرابُ[1]

واعلم أن كلَّ الذي ذكرناه في هذه الخاتمة، بل في هذه المجموعة أو الجامعة، بل في كلِّ الكتاب؛ إنما هو على طريق التذكير والتنبيه، والتعليم الرسمي، وكيفية الطريق، والعمل به بتصحيح مقام التوبة بشروط صحتها الثلاث التي هي: الندم على ما فات، والإقلاع في الحال، والنية ألا يعود.

وفرائضها الأربع التي هي: رد المظالم، واجتناب المحارم، وأداء الحقوق، وتصحيح القصد.

وكمالاتها الست التي هي: تصحيح التقوى بالورع، وتحقيق الاستقامة بالصدق، وتحسين الخُلق بمجانبة الخَلق مع مسامحتهم، والتشمير للعمل الصالح، والإعراض عن كلِّ معارض وكسل، وترك ما سوى الله جملةً وتفصيلاً.

والمعين على ذلك ثلاثة: ترك الفضول من كلِّ شيء، ومراقبة الله في كلِّ شيء، وترك الحرام والشبهة من كلِّ شيء؛ فمَن أكل الحلال أطاع الله حب أم كره، ومن أكل الحرام عصى الله حب أم كره، والمرء على دين خليله؛ فكل ما تعمل، واصحب مَنْ شئت؛ فأنت على دينه، والمؤمن آلف مألوف طالب حذر ثلثاه تغافل.

ومما يعين على التوبة ويؤيدها كثرة ذكر الله، والصلاة على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- حتى إذا انطبعت النفس بذلك انتقل عنه لقول: «سبحان الله

---

(١) الأبيات من الطويل، وهي للمتنبي في ديوانه ص (٥٠)، وفي «نهاية الأرب في فنون الأدب» ص (٨٣٩٣)، و«يتيمة الدهر» ص (١٢٥).

وبحمده، سبحان الله العظيم، استغفر الله» حتى تنطبع به نفسه، انتقل لذكر الباقيات الصالحات، «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»؛ فإنها مطهرة، ومن معانيها شروح مبادئ الفتح والكمال، وتظهر علامات الفلاح في أقرب مدة.

واعلم أن الذِّكر لا يفيد في تحصيل أثره إلا بثلاث: حسم مواد الطباع بالجوع والصمت والسهر، والفرار من الخلق، والمطلوب من كلِّ ذلك أوسطه؛ فمن كان الجوع أهم عليه من الشبع لم يأكل فوق ما يكفيه بل دونه، ومن كان الصمت أهم عليه من الكلام لم يتكلم فيما لا يعنيه، ومن كان السهر أهم عليه من المنام لم ينم إلا بقدر الحاجة، ومن كان الفرار من الخلق أهم عليه من الأنس بهم انقطع عنهم ما أمكنه، ومن صفي صفا له، ومن خلط خلط عليه.

ومما كتب لنا به شيخنا أبو العباس الحضرمي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - في وصيته الأولى: وعليك بدوام الذِّكر، وكثرة الصلاة على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فهي سُلَّم ومعراج، وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخًا مرشدًا.

وقد قال: رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب»(١).

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلاةُ عليّ نور في القلب، ونور في القبر، ونور على الصراط»(٢).

وكيفية السلوك بالذكر أن تجمع الخاطر، وتفرد القلب لما تريده، ثم تأخذ في الذكر حتى تصفى إليه النفس، ويأخذها بالكلِّ والبعضِ، ومتى عرض عارض بخروج أو ترك آمنها منه من غير معارضة له، وبالله التوفيق.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٨٥).

(٢) لم أقف عليه.

وقد آن أن نختم بالدعاء والصلاة على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فهي الفاتحة والخاتمة، بل كلية الأمور الدنيوية والأخروية، وبالله التوفيق.

«اللهم إنا نسألك إيمانًا دائمًا، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك دينًا قيمًا، ونسألك العافية من كلِّ بلية، ونسألك الغنى عن الناس».

«اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا متقبلاً، ورزقًا واسعًا حلالاً، وعمرًا طويلاً مباركًا، ونسألك العافية في الدنيا والدين، برحمتك يا أرحم الراحمين».

«اللهم ابسط لنا حرمتك في الدنيا والآخرة، وانشر علينا رحمتك فيهما، واتمم علينا نعمتك يا أكرم الأكرمين».

«اللهم إنا نسألك عيشًا قارًا وعملاً بارًا، ورزقًا دارًا، وعافيةً كاملةً، ونعمةً شاملةً؛ فإنه لا غنى لنا عن خيرك برحمتك يا أرحم الراحمين».

ثم استغفر الله مما ارتكبته من الدعوى، وقلة الأدب بالتجاسر على كلام أولياء الله، والله ولي من اعتمد عليه، وحسب من استند إليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❀❀❀

خاتمة مصنف الشرح المبارك

وقال واضعه العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى التونسي ثم الفاسي عُرِفَ بزروق -أصلح الله حاله، وغفر ذنوبه: قد انتهى ما يسَّر الله في هذه العُجالة، واطلب العذر في قبوله وتحقيقه بأصوله، «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[1]، والسلام.

ثم وافق الفراغ من تحصيله علينا بأرض البهنسة بلاد الصعيد، يوم الخميس خاتمة جمادي الأخير سنة ٨٠٥ خمس وثمانية مائة -عرَّفنا الله خيره، ووقانا الله شرَّه بمنه وكرمه آمين.

خاتمة كاتب الشرح المبارك

قد انتهى على يد كاتبه الفقير إلى الله الكريم المنان محمد بن أحمد بن الهاشمي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني وطنًا، المالكي مذهبًا، الدمشقي مسكنًا، الأشعري اعتقادًا، الشاذلي طريقةً، غفر الله له ولمشايخه ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من نسخه ليلة الثلاثاء خامس ذي الحجة الحرام سنة ١٣٤٤ أربع وأربعين وثلاثمائة وألف مِنْ هجرة مَنْ له العز والشرف سيدنا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصحبِهِ وَسَلَّمَ.

❁❁❁

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

صَلَّى اللهُ عَلَى سيدنا محمد وَعلى آلِهِ وَصحبه وَسَلَّمَ تسليمًا

فصل ما جاء في فضل حزب البحر

وما يعطي الله من الخيرات لمن قرأه، وواظب عليه[١]

اعلم أنه روى أكابر العلماء -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم- والأولياء، والفضلاء -نفعنا الله بهم- أن الدعاء المشهور بحزب البحر من الأدعية اللطيفة، والأحراز الشريفة، وفيه الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وأنه شفاء للقلوب، وموصل لكلِّ مطلوب، وأن هذه جنة العارفين، وسيف المحاربين، وترياق الماكرين، وورد الراجين، وتوسل المضطرين، ونقل عن بعض الصلحاء -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- أنهم قالوا حالفين بالله العظيم: إنَّ في هذا الحزب أسماء يتمكن ببعضها المشي على الماء، وبعضها الطيران في الهواء، وغير ذلك؛ فمن شكَّ في هذا، فهو ظالم لنفسه؛ لأنه هو الحرز الفاضل، والدعاء الذي نقله الشيخ الفاضل، والمرشد الكامل أبو الحسن الشاذلي ﷺ عن صدر النبوة، وشفيع الأمة خير الأنام محمد بن عبد الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قال حالفًا بالله: إنَّ هذا الدعاء قد أُنزل إليَّ من قبل الرسالة، فإن أكثر المشايخ يلازمونه، ويجعلون لهم مراتب ودرجات.

فأردت أن أكثر في بعض خواصه التي ذكرها الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ حتى يكون داعيًا، وعزمًا على قراءته، وملازمته، والدعاء به، والدوام عليه؛ فمنها إذا أتى جيش عظيم على حصار وحصروه، فإذا قرأه أحد من أهل الحصار لم يظفروا به، وأمنوا من مكرهم.

ومنها: إذا قرأه أحد عند طلوع الشمس قضى الله له حوائجه، وبلغه مراده، وزوال همه وغمه، وارتفع قدره، وكان مهابًا عند الناس، وزاد إيمانه ودينه، وسهَّل الله عليه الأمور الدنيوية والأخروية، وحفظ من شرِّ الثقلين، وطوارق الليل والنهار.

ومنها: إذ قرأه أحد حين يدخل على الظَّلمة كان آمنًا من مكرهم.

---

(١) هذا الفصل الختم لسيدي محمد الهاشمي -رضي الله عنه وأرضاه.

ومنها: إذا قرأه المصلي عند كلِّ صلاةٍ أصاب الغنى، ولم يحتج إلى أحد.

ومنها: إذا أراد أحد أمرًا بكماله؛ فليقرأه عند صلاة الصبح، وسورة يس عشر مرات، وبعد هذا الدعاء سبعين مرة؛ فإنه يتم أمره.

ومنها: إذا قرأه أحد أول ساعة من يوم الجمعة على ماء في إناء طاهر ثم يغسل وجهه بذلك الماء ألقى الله محبته في جميع القلوب، وإذا كتب تلك الساعة على قرطاس طاهر بحضور القلب، وجعل المكتوب معه أمن من جميع البلاء والآفات في الحركات والسكنات، وزال اضطرابه، وتمكن في أمره وقضى الله حوائجه.

ومنها: إذا قرأه أحد من أهل السفينة، وكانوا مستخفين في الريح؛ أرسل الله عليهم ريحًا طيبة موافقة لمرادهم.

ومنها: إذا كتب على جدار بيت أو سور مدينة أمنت كلها من شرور النيران وحوادث الزمان، وأي بيت حفظ فيه هذا الدعاء أمن من السرقة، وشر الجن، ونزول الطاعون، وإن كتبه وعلَّقه عليه كان مصونًا من كلِّ بليةٍ، ولهذا الدعاء فضائل كثيرة، وهو حرز عظيم.

❊ ❊ ❊

كيفية قراءة حزب البحر

ولما فرغنا من بيان خواصه حاولنا في كيفية قراءته؛ فنقول: هذا الحرز اعتصامًا، وهو ما يكون مبتدأ به ومختومًا، وهو ما يكون ذلك الدعاء منتهى به عند الختم والتمام وهذا ابتداؤه:

«بسم الله الرحمن الرحيم» ثم تتنصل من حولك وقوتك، وتقول: «رب يسر ولا تعسر علينا، يا ميسر كل عسير»، وتنوي الاعتصام ثم تقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ثم تقول: «اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا» عشر مرات، ثم تنوي مقصودك، وترفع يديك، وتقرأ الفاتحة بنية حصول المقصود، ثم امسحهما على وجهك، وتشرع في قراءة الدعاء على وفق المراد، وهو هذا:

(يَا الله، يا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ، يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيمُ، أَنْتَ رَبِّي، وَعِلمُكَ حَسْبِي؛ فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي، وَنِعمَ الحَسْبُ حَسبِي، تَنصرُ مَن تَشَاءُ، وَأَنْتَ العَزِيز الرَّحِيم، نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ فِي الحَرَكَات، وَالسَّكَنات، وَالكَلِمَات، وَالإِرَادَات، وَالخَطَرات، مِن الشُّكُوك وَالظُّنُون وَالأَوْهَام السَّاتِرة للقُلُوب عَن مُطَالعة الغُيوب، فقد ابتَلى الله المُؤمِنون، وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيدًا، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

روى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ينبغي لمن خاف في البحر من الغرق أن يقول في هذا المحل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١].

ثم يقول: فثبتنا وانصرنا، وسخِّر لنا هذا البحر كما سخَّرت البحر لموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسخَّرت النار لإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسخَّرت الجبال والحديد لداود -عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسخَّرت الريح والشياطين والجن لسليمان - عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسخِّر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا، وبحر الآخرة، وسخِّر لنا كلَّ شيء»[1].

---

(١) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٧/ ٢٠٥).

وإنْ كانت النية للتقرب إلى قلوب الخلق؛ فليقرأ في هذا المحل: «يا عزيز» سبعين مرة، ثم يقول: «عزني في قلب فلان ابن فلانة بالمحبة والكرم، يا من بيده ملكوت كل شيء»، ثم يقول: «كهيعص، كهيعص، كهيعص».

وإنْ كانت النية للتجارة والظفر بالأعداء؛ فليقرأ في هذا المحل إحدى وعشرين مرة: «إني مغلوبٌ فانتصر، فانصرنا على القوم الكافرين»، ثم يقول: «فإنك خير الناصرين، وافتح لنا، فإنك خير الفاتحين».

وإنْ كانت النية لحلِّ الأمور المعقدة؛ فليقرأ في هذا المحل: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩]، ثم يقول: «اغفر لنا؛ فإنك خير الغافرين، وارحمنا؛ فإنك خير الراحمين».

وإنْ كانت النية للتقرب إلى قلوب الناس والأمن من مكرهم؛ فيقرأ في هذا المحل مائتين وتسع مرات: «يا الله يا رحيم»، ثم يقول: «وارزقنا؛ فإنك خير الرازقين».

وإنْ كانت النية لطلب الرزق؛ فليقرأ في هذا المحل ثلاثمائة وسبع مرات: «يا رزاق، يا وهاب، يا غني، يا مغني اغننا، واهدنا، ونجنا من القوم الظالمين».

وإنْ كانت النية للنجاة من الظَّلَمة؛ فليقرأ في هذا المحل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢]، مائة وثلاثين مرة، ثم يقول: «وهب لنا ريحًا طيبة كما هي في علمك».

وإنْ كانت النية لجلب القلوب؛ يقرأ على ماء الورد، وهو صائم هذا الحزب إحدى وتسعين مرة، ويقول في هذا المحل: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] سبعين مرة، ثم يقول: «اللهم اجعل الشفقة والمحبة التي منها ارتباط الأحشاء بعضها إلى بعض في قلب فلان ابن فلانة، متمكنًا لنا آمين آمين»، ثم يرفع الماء، ثم إذا أراد المشي إلى من نواه في الدعاء قطر قطرة في كفه من ذلك الماء، ويمسح بها وجهه، ويذهب إليه؛ فإنه يرى عجبًا من شدة المحبة والإقبال، ولو كان من أكبر السلاطين، ومن أكبر الأعداء، أو من أكبر الظَّلَمة، والقراءة على الماء ثلاثة أيام في كلِّ يوم العدد السابق، وهو صائم.

وإنْ كان المطلوب كسب المال والبلوغ إلى الغاية؛ فليصم ثلاثة أيام، ويقرأ الحزب المبارك إحدى وعشرين مرة، ثم يقول: «اللهم أغنني وارزقني رزقًا طيبًا واسعًا بغير حساب»، وينبغي أن يتصدق كلَّ يوم على سبعة فقراء، خُبزًا مع شيء من الحُلو؛ فيفتح الله عليه باب الرزق، ثم يقول: «وانشرها علينا».

وإنْ كانت النية لبقاء الأمر، وعلو الدرجات، وطاعة الناس إليه؛ فليقرأ في هذا المحل: «يا عطوف، يا رءوف، يا كريم، يا رحيم» مائتين وثمانين مرة، ثم يقول: «أعطنا من خزائن رحمتك، واحملنا عليها حمل الكرامة مع السلامة، والعافية في الدين والدنيا والآخرة؛ إنك على كلِّ شيء قدير».

وإنْ كانت النية لعمارة الأملاك والدنيا والآخرة؛ فليقرأ في هذا المحل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[البقرة:٢٠١] مائة مرة، ثم يقول: «اللهم يسِّر لنا أمورنا»، ويقول كلما رأى تيسير الأمور، يقول ثلاثمائة مرة: «يا ميسر كل عسير؛ يسِّر مرادي، وسهِّل مرادي بفضلك»، ثم يقول: «مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا» إلى قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:٢٠].

وإنْ كانت النية للاحتراز من العدو والسبع؛ فليقرأ في هذا المحل سبعين مرة: «يا حفيظ، يا منجي، يا كافي، يا مغني، استرنا بسترك الجميل، كما سترت الأنبياء من سطوة الفراعنة، واجعل بيننا وبينهم سدًّا»؛ فإنه يظفر بهم -إنْ شاء الله تعالى- ويقول: «دفعت كل سوء بقدرة الله تعالى حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، اللهم لا تقتلني بغضبك، ولا تقتلني بعقابك، وعافني قبل ذلك، اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي، ولا تسلِّط عليَّ مَنْ لا يرحمني، وكفَّ أيدي الناس عني، حُمَّ الأمر، وجاء النصر؛ فعلينا لا ينصرون».

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ

ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر:١-٣]

بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، ويضم أصابعه اليمنى ويفتحها كذلك، وعند تمام الفتح يقول: حمايتنا؛ فإن في الضم أسرار عجيبة، وفي الفتح أرماز خفية غريبة، ثم يقول: «حمايتنا» ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾» [البقرة:١٣٧]، ثلاثًا.

وإنْ كانت النية لدفع ضرر المعتدي؛ فيقول في هذا المحل سبعين مرة: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك:٣-٤].

ثم يقول: «نظرة إلينا بحول الله لا يقدر علينا، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج:٢٠-٢٢]، (ثلاثًا).

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]﴾ (ثلاثًا).

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] (ثلاثًا).

﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩] (ثلاثًا).

«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم» (ثلاثًا)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصَلَّى اللهُ عَلَى سيدنا محمدٍ، وَعَلى آلِهِ وصحبه وَسَلَّمَ

❁❁❁

رقم الإيداع

2007/24151

الترقيم الدولى

I.S.B.N

9 77-418-029-1

فهرس الموضوعات